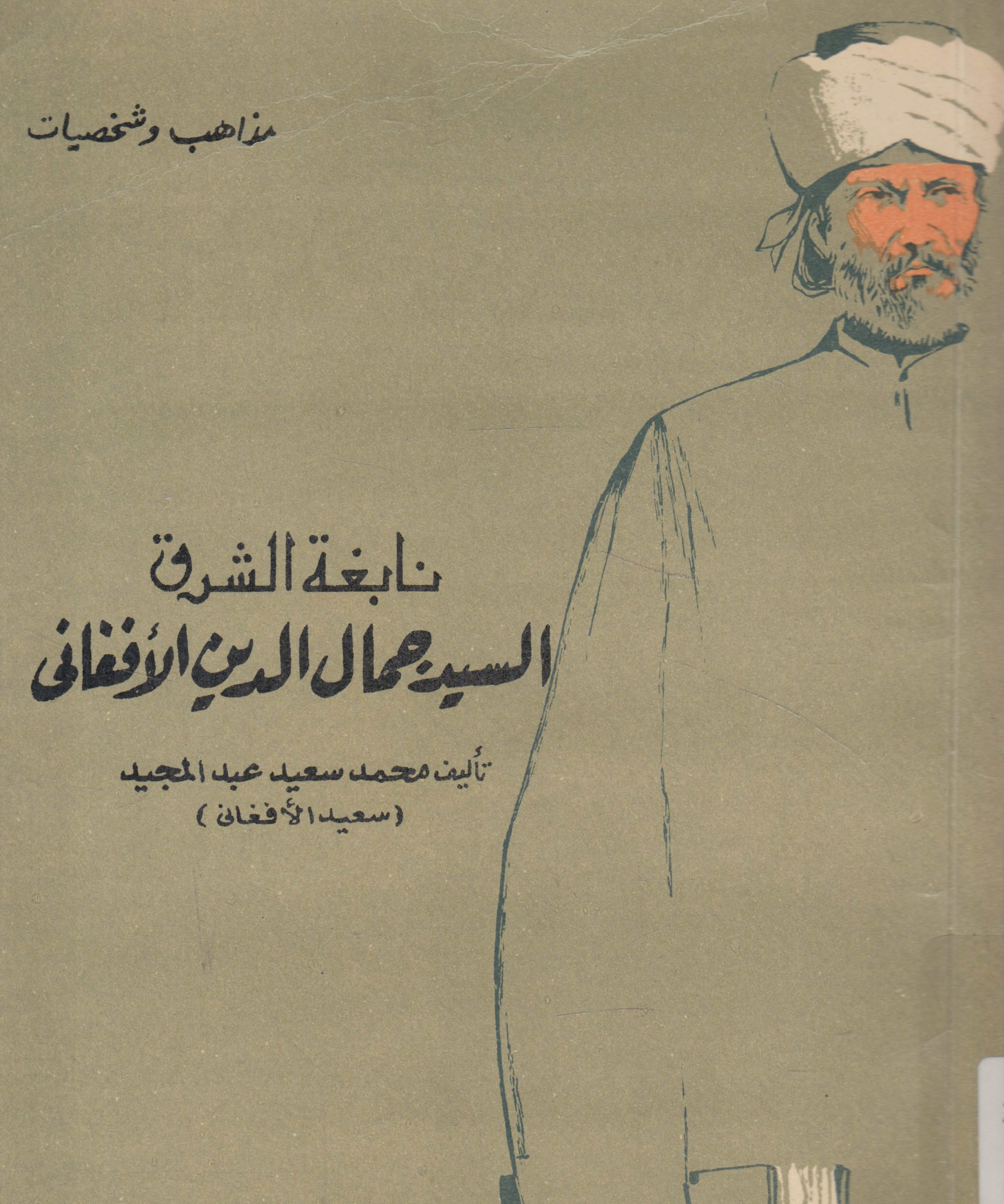


مذاهب وشخصيات

نابغة الشرق
السيد جمال الدين الأفغانى

تأليف محمد سعيد عبد المجيد
(سعيد الأفغانى)

مذاهب وشخصيات

نابغة الشرق

السّيد جمال الدين الأفغانى

تأليف

محمد سعيد عبد المجيد (سعيد افغانى)

من أحب الحياة فليمت فى سبيل حياة أمته

ما مات أحد فى حب أمته الا وأحيته

« جمال الدين الأفغانى »

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله ونستعينه ، ونصلي على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين الأبرار ، الذين نهجوا منهجه القويم ، وأيدوا المسلمين بالهداية الى الصراط المستقيم ، أما بعد :

فان السبب الذى بعثنى أن أكتب عن السيد ((جمال الدين الأفغانى)) كلمة ، هو أن السيد الأفغانى كان قد وقف حياته لخدمة الاسلام والبشر ، وأن عزمه وارادته فى هذه السبيل وصلا الى حد لايخشى معه فى ما عزم عليه لومة لائم ، ولا تؤثر فى عزمه وتصميمه الأعراض المادية والتكاليف الدنيوية ، شيئا ، هو أينما كان يؤيد الحق ، ويكافح الاستعمار والاستغلال بجميع الوانه ، لأجل الحرية والسلام ، وكان فكره وثقافته ، وعمله ، وسياحته ، ومحاضراته وندواته ، ونشراته ، وكتبه ، وصداقته ، وعداوته ، ودراسته ، وتعليمه ، وتحركاته ، وثوراته وسياسته ، وروابطه كلها لأجل أن يعالج الأمراض الروحية والنفسية ، ويمحو الظلم من البشر عموما ، ومن الشرق خصوصا ، وقد ثبت عنده أن العلاج الناجح لأدواء الفرد والمجتمع هو العمل بالتعليمات الاسلامية والدساتير القرآنية » والارشادات النبوية ، بضوء العقل والفكر الثاقب ، لا شك انه نابغة الشرق وفيلسوف عصره وصاحب المسالك ، والمجاهدات الكثيرة ،وبحسن خدمته اشتعلت الثورات الفكرية لاحياء كرامة الانسان رحمة الله عليه وعلى أتباعه وأعوانه .



صورة للسيد جمال الدين أهداها الى الشيخ محمد عبده
وكتب عليها : « تذكرة للشيخ الفاضل محمد عبده يتذكر بها
ما حوته الصدور واستقرت عليه القلوب » .
سنة ١٨٨٥

من كتاب زعماء الاصلاح فى العصر الحديث للأستاذ « أحمد أمين »

« جنسية السيد
جمال الدين الأفغاني »

قد ثبت ولا ريب أن السيد « جمال الدين » هو أفغاني صميم من سادات « أسعد أباد » قرية « كنر » محافظة أفغانستان ، اذ أن السيد ذكر بلسانه مرارا أنه أفغاني صميم . وأنه أينما وصل وحيثما رحل يعتز بهاتين الصفتين « الحسيني » « الأفغاني » كما أنه قال مرة :

استوقفتني الأفغان وهي أول أرض مس جسمي ترابها .

وقال أيضا : اني اضطررت لترك بلادي الأفغان مضطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض .

لكن مع هذا لا شك أنه أراد أعداء السيد « جمال الدين » أعني أعداء الحرية والمصالح الاجتماعية أن يغشوا على الناس حوله ، في حياته وبعد موته ، فقالوا ماقالوا في حقه ... حتى في جنسيته .

نعم : حينما وقع الخلاف بين السيد « جمال الدين » الأفغاني « وناصر الدين » شاه ايران ، بسبب ظلم ، «ناصر الدين» ، واستبداده ، وولائه للانجليز ، وبيعه منافع بلاده لهم ، كما أعطى شركة « ايجي » الانجليزية حق احتكار التنباك في بلاده ، فثار عليه السيد ، وحرض « ميرزا محمد » حسن الشيرازي كبير المجتهدين في ايران على أن يفتي بتحريم شرب التنباك ، ما دام في يدي هذه الشركة ، وعندما صدرت هذه الفتوى امتنع الناس عن شرب التنباك ، وامتلئوا غيظا من عمل الشاه ، وأحاطوا به ليقتلوه ، أو يلغي هذا الاحتكار ، فاضطرت حكومة ايران الى الغائه مقابل نصف مليون جنيه ، وأيضا كان السيد «جمال الدين» يذم الشاه ، ويثير الناس عليه ، فعلى هذا كاد شاه ايران أن يتميز من

الغيظ على السيد، وأراد أن ينتقم منه،فقال بلسان كبار موظفى حكومته: ان جمال الدين ، ايرانى ، لكى يجره الى بلاد ايران فيبطش به · كما قال الأستاذ « عبد القادر المغربى » فى كتابه المسمى بـ « جمال الدين الأفغانى » ما يلى نصه : قامت ضجة حول أفغانية السيد « جمال الدين » وايرانيته ، على أثر مانشره « محمد حسن خان » الملقب باعتماد الدولة وهو من كبار موظفى حكومة ايران ، المقربين لدى مليكها «ناصر الدين» شاه ، فى كتابه « المآثر والآثار » فقد ذكر فيه : « ان جمال الدين من قرية أسد آباد» من أعمال ايران وازاء هذه الضجة حدثنى أحد وجهاء «طرابلس الشام» ، وهو ممتعض لما سمع منكر ما قيل فى نسبة «جمال الدين» الى ايران فقال : ان جعل السيد من أبناء ايران ، أو من مواليد ايران فرية افترتها عليه حكومة « ناصر الدين » شاه ، بقصد الانتقام منه · وأن الخبر اليقين هو فيما حدثنى به صديقى الشيخ « عبد الحميد الرافعى » ، قاضى البصرة فى أثناء نزول الأفغانى فيها مبعدا من ايران · فهو اذن شاهد عيان ، قال القاضى :

كان والى البصرة — يوم قدوم «جمال الدين» اليها — «هدايت باشا» وهو رجل جليل القدر ، كثير التقوى والصلاح ، فاحتفل الوالى وأركان الولاية بالسيد ، وأكرموا نزله ، واذا ببرقية « شفرة » وردت الى الوالى من المابين (١) ، يسألونه فيها عن نشأة « جمال الدين » وأصله ، وفصله، وهل هو ايرانى كما يزعم الشاه ؟ قال القاضى : فاستحسن الوالى أن يوسطنى لدى «جمال الدين» ، فأسأله عن أصله ، ومبتدأ خبره ، من حيث لا أجعله يشعر بقصدى ووساطتى · ولكن ذكاء « جمال الدين » الخارق جعله يتنبه الىالغرض من سؤالى فبادرنى بقوله : انه أفغانى الاصل والفرع وأنه لا علاقة لجنسيته بايران ، ولا تابعية ، وأن الشاه يشيع ذلك عنه ارادة اجترارة الى ايران ، ثم الانتقام منه ، والتنكيل به . قال «جمال الدين» : انه (فى سنة ١٢٨٧ هـ — ١٨٧٠م) عيننى « صفوت باشا » وزير المعارف اذ ذاك عضوا فى مجلس المعارف الأعلى (التركى) بناء على كونى (أفغانى الجنس) ثم قال :

(١) المابين كلمة تطلق على الحجرة التى لها بابان — باب الى جهة الحرم وباب الى جهة الخدم ثم اختصت بالسراى السلطانية في تركيا .

فليسألوا الوزارة المشار اليها ان أحبوا • (١) ويظهر مما تقدم أن السيد أفغانى ، كما يقر هو نفسه • وما قيل فى حقه انه ايرانى لا أصل له الا الافتراء ، ويؤيد جنسية السيد أنه أفغانى ماكتبته «جريدة الوطن» الصادرة فى الآستانة بتاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٤ م باللغة التركية جاء فيها « رائد اليقظة الأفغانية الحديثة وداعية الشرق الشيخ جمال الدين الأفغانى » وكتب أيضا : وقد ولد الشيخ « جمال الدين » فى أفغانستان سنة ١٢٥٤ هجرية ، وينسب الى جماعة السادات المشهورين فى «كنر» •

وأيضا جاء فى كتاب « تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده » تأليف السيد محمد رشيد رضا نقلا عن الامام محمد عبده تحت عنوان (السيد جمال الدين الأفغانى) هذا هو السيد «جمال الدين» ابن السيد «صفدر» من بيت عظيم فى بلاد الافغان، ينمى نسبه الى السيد على الترمذى المحدث المشهور ، ويرتقى الى سيدنا « الحسين » بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد ، تقيم فى خطة « كنر » من أعمال « كابل » تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام ، ولهذه العشيرة منزلة علية فى قلوب الافغانيين ، يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف، وكانت لها سيادة على جزء من الاراضى الأفغانية ، تستقل بالحكم فيه ، وانما سلب الامارة من أيديها « دوست محمد خان » جد الأمير الحالى (٢) وأمر بنقل والد السيد « جمال الدين » وبعض أعماله الى مدينة «كابل» وولد السيد « جمال الدين » فى قرية (أسعد آباد) من قرى « كنر » سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال أبيه الى مدينة «كابل» • (٣)

وجاء فى ص (٣٨-٣٩) من التاريخ المذكور نقلا عن أديب اسحق الكاتب المشهور وكان من تلاميذ السيد « جمال الدين » وأفراد حزبه فى زمنه أنه كتب فى حقه : « هو الحكيم الخطيب البالغ الحجة النبيلة ، المتوقد الذكاء ، الجرىء الذى لا يعرف الخوف ، النسيب ، السيد « جمال الدين » الأفغانى ، ولد بـ « كابل » فى بيت شرف وعلم ، وعمره الآن نحو ٤٥ عاما » .

وجاء فى ص (٤٢) من التاريخ المذكور تحت عنوان (ترجمة سليم بك العنحورى للسيد « جمال الدين ») مايأتى :

---

(١) ص (٨٤ - ٨٦) من كتاب : « عبد القادر المغربى » .

(٢) يعنى به المرحوم الامير عبد الرحمن لأن الترجمة كتبت وهو حى •

(٣) ص (٢٧) من كتاب (تاريخ الامام محمد عبده) لرشيد رضا .

« وأما الأفغانى فهو السيد « جمال الدين » العالم الفيلسوف الشهير ، نبغ فى بلاد الأفغان » وبعد هذا ذكر قليلا من تفاصيل ما وقع للسيد « جمال الدين » الأفغانى فى وطنه «أفغانستان» وبعض أحواله فى سائر البلاد ٠

من كل هذه الأسانيد وكثير من أسانيد أخرى ثبت أن السيد « جمال الدين » لاشك أنه أفغانى الجنسية ، وأن كل تلاميذه وأنصاره ومخلصيه ومعارفه يتفقون فى أن السيد « جمال الدين » من سادات أفغانستان ، ولا يمكن أن يوجد واحد فى زمانه ولا ممن يعتمد على قولهم بعد موته من قال : ان السيد « جمال الدين » ايرانى وليس بأفغانى ٠

لكن مع هذا قد خرج على الناس أخيرا من لم يستح من الزيف فسمى نفسه « ميرزا لطف الله خان » وزعم أنه ابن شقيقة السيد «جمال الدين» ، ونشر كتيبا سداه الكذب ، ولحمته التضليل ، قال فيه : ان السيد « جمال الدين » لم يكن أفغانيا ، وانما كان ايرانيا شيعيا ٠

وكتب صاحب كتاب (صيحة «جمال الدين » الأفغانى) (١) فى الرد على « لطف الله خان » وأذنابه مانصه : وقد كان لنا الا نعرض لهذا الكتيب الذى لايستحق المداد الذى كتب به ، ولا نعنى بهذه التلفيقات التى سودت صحائفه ، ولكنا رأينا أن نكتب هذه السطور الموجزة لنفضح هذيانه ، وترهاته ، ولنمتلخ بعد ذلك عرق الشك ، الذى قد يخامر نفوس بعض من يقرءون مفتريات هذا الكذاب الأشر ،ويطلعون على سخافاته وترهاته ٠

ثم ذكر فى كتابه المذكور تحت عنوان (لماذا انغرس بغض الانجليز فى قلب السيد) ، ما حاصله أن محاولات استعمارية للانجليز فى أخذ أفغانستان عندما حاولوا أن يسلبوا استقلالها كما سلبوا استقلال غيرها من البلاد ، وهى الحرب التى صرع فيها من جيش الانجليز عشرات الألوف مع قائدهم الأكبر « مكناتن » ومعه الملك الخائن « شاه شجاع » ٠ وذلك فى الميادين الممتدة من « كابل » الى « كنر » كل ذلك أثار غضب السيد على الانجليز ومما زاده ضغنا علىهذه الدولة الباغية ، ما وقع من مطامعها فى الشرق وفى الوطن الاسلامى ٠

---

(١) ص (١٥ ـ ١٦) ٠

ثم قال : لهذا كله آلى على نفسه أن يقف حياته على محاربة الانجليز والعمل ما استطاع على تنكيس راياتهم حيثما وجــدت فى بلاد الشرق كافة . كما قرر ذلك تلميذه الأكبر الأستاذ الامام محمد عبده . ثم قال فى ص (١٨ ـ ٢١) من كتابه صيحة « جمال الدين » الأفغانى : ويظهر أن «ميرزا لطف الله خان» له علاقة بالانجليز الذين يريدون أن يسيئوا الى سمعة السيد بعد وفاته ، كما حاربوه فى حياته فحثوا « ميراز لطف الله » على أن يجعل من السيد شخصا مرائيا منافقا دساسا ، يقول عند الايرانيين : أنا ايرانى وشيعى ، ويقول عند أهل السنة أعنى «الأفغانيين» والعرب ، والترك ، انى أفغـانى وسنى ، وكأنه يلعب دورا ذا وجهين ، مثل ما تلعبه الجواسيس اليهودية ، والاستعمارية .

تعالى الله عما يقول المفترون فى أوليائه .

* * *

ولكن السيد الذى كان رأس ماله الصدق والشجاعة والصراحة ، برىء من هذه الصفات التى يحاول الخونة على نواميس الاسلام أن ينسبوها الى السيد الصميم الصريح الشجاع . يقول أمثال «ميرزا لطف الله» : ان السيد «جمال الدين» الايرانى الشيعى كان يلبس قناع الأفغانى والسنى زورا وبهتـانا كى يتمكن من أن يجعل من ايران مركزا رئيسـيا للعـالم الاسلامى .

وهل يصدق العقل أن الانسان يمكن أن يرفع شأن شعبه الى أوج العزة فى حين أنه ينكر ويخفى شعبيته ، ويخاف أن ينسب نفسه الى دينه وشعبه ؟ .

كان السيد « جمال الدين » رحمه الله زعيما كبيرا للعالم الاسلامى والشرق ، والغرب ، والعجم ، والأفغان ، وايران ، والترك ، والهند الذين كلهم اخوانه ، مع أنه كان أفغانيا ، كمـــا قال واعترف به فى مواضــع عديدة ، وصرح بذلك تلامذته وأتباعه كافة وحتى أمثال «ميرزا لطف الله» لاينكرون أن السيد « أقر طول حياته بأنه أفغانى وسنى » .

ولكنهم يقولون : ان السيد أقر بهذا القول تقية ونفاقا ، وأن الزعيم المسلم الكبير كان مرائيا منــافقا كذابا ، وذلك كى يفتــكوا به ويتهموه بالكذب والافتراء بعد موته ، والعياذ بالله !

واذا كانت هذه الطريقة المعوجة التى سلكها من كان قبل « ميرزا لطف الله » قد طمست معالمها ، وزالت آثارها ، ومن سنوها على كثرتهم

وقوة بأسهم ، لم يستطيعوا أن ينالوا من هـــذه العظمة الخالدة نيلا ، وباءوا جميعا بالخيبة ، وغضب من الله ، فترى ماذا يصنع مثل هذا القزم الذى ظهر أخيرا بسخافاته ؟

ومن ضلالهم انهم اختلقوا أسبابا لارتداء السيد « جمال الدين » برداء السنية ، وكلها واهية لا تستحق الرد عليها ، أو الالتفات اليها، فقد قالوا انه فعل ذلك لكى يتسنم الزعامة فى الجامع الازهر ، ويكفى لدحض هذا أن السيد «جمال الدين» على طول اقامته بمصر ، لم يدخل الازهر الا زائرا ، ولم يلق فيه درسا واحدا ·

ثم ذكر : ما حاصله أن الســـيد « جمال الدين » لو كان ايرانيا وشيعيا ، فلم تخلى عنه الائمة الايرانيون، يوم أن أرسله السلطان الغاشم ناصر الدين شاه مكبلا بالسلاسل والاغلال ، يجره الجنود وهو عليل ، من قرية الى قرية ، بقصد اذلاله والنيل من كرامته ؟ مع انه فوق ذلك حسينى من السلالة النبوية ·

ولم لم يسلمه السلطـــان عبد الحميد فيمن سلمهم من الايرانيين الذين لجئوا الى بلاد تركيا ، وكان قد طلب منه ذلك لكى يجره الى ايران لينتقموا منه · اذا كان ايرانيا كما تزعم ؟

ثم تساءل صاحب كتاب « صيحة جمال الدين الافغانى » عما هو أصل هذه النزعة الخبيثة ، وما سبب هذه الفرية اللئيمة ، التى اختفى قرنها فى التاريخ الماضى ، ثم عادت الى الظهور فى هذه الايام ؟ بماحاصله: وسبب أصل هذه النزعة الخبيثة فى الماضى هو عداوة السيد لشاه ايران، لولائه للانجليز · وأما انبعاث هذا الافك فى العصر الحاضر ومنشؤه أن أعداء وحدة الصف الاسلامى والعربى بل والشرقى يعملون هذا لكى يثيروا حول الشخصية التى أثارت الآفاق غبارا من الشك ، لعلهم ينالون من عظمته ، أو يغضون من كرامته ، وذلك بأنهم قد رأوا أن هذه الوثبة الكبرى التى حطمت القيود انما هى ولا ريب من غرس يمينه وأن البذور التى ألقاها بيده فى أرض الشرق جميعها ، وتعهدها طوال حياته ، وبذل ما بذل لانمائها ، حتى قضى شهيداً فى سبيلها ، قـد أثمرت ثمراتهـا اليانعة ، فاستقلت الهند ، ومصر وغيرهما ، من الأمم الشرقية ، ونكس العلم البريطانى فى بقاع الشرق كافة ، وقضى القضاء الأخير على الاستعمار الممقوت ، فلم يعد له فى الحياة أثر · وليس ببعيد أن يكون للانجليز يد خفية فى هذه المكيدة ، لأن نار حقدهم على السيد لاتزال تضطرم بين

جوانحهم ، فهم لا يفتأون يكيدون له لينالوا منه ، ولكن السيد فى مكانه من العظمة ومقامه من السمو لأرفع من أن يغشى حذاءه الطاهر شيء من مثل هذا الغبار القذر .

«وأنى لنباح الكلاب أن يبلغ السحاب ؟» ثم ذكر محمود أبو ريه فى كتابه : « ان هناك أربع حقائق فى تاريخ السيد جمال الدين الافغانى راسخة رسوخ الجبال ، ولا يستطيع أحد مهما كان أن ينال منهـا أى منال :

الأولى : انه خلاصة العترة النبوية الشريفة .

الثانية : انه سنى أفغانى صريح .

الثالثة : أن أسرته العظيمة عريقة فى المجد والكرم والشجاعة فى بلاد الافغان ، ولها سلطان هناك عظيم .

الرابعة : انه بلا خلاف موقظ الشرق ، وباعث نهضته فى العصر الحديث . ولم يقم أحد بمثل دعوته ، ولا جاهد مثل جهاده ، حتى قال فى حقه الاستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق : «حسب جمال الدين من عظمة ومجد انه فى تاريخ الشرق الحديث أول داع الى الحرية ، وأول شهيد فى سبيل الحرية » هذه الحقائق الأربع ثابتة للسيد جمال الدين الافغانى ، ولا يمترى فيها الا جهول ، أو حقود ، أو عدو لوحدة العرب والشرق وقد أجمع عليها كل الذين كتبوا عنه من الشرق أو من الغرب ، رغم أنف كل من يكابر فيها ، وستخلد هذه الحقائق على مدى الزمن كله، ولو نشروا كل يوم ألف كتاب وكتاب » .

ثم ذكر محمود أبو ريه : « وقد أصبح من المعلوم بالضرورة لدى الناس كافة فى مشـارق الارض ، ومغاربها ، أن كلمة «جمال الدين» اذا أطلقت فى أى زمان أو مكان فانهـا لا تنصرف الا اليه ، ولو ذكر اسم حكيمنا (جمال الدين) مجردا لما فهم الناس منه الا أنه الافغانى » .

وحسبنا فى ذلك المقام (مقام جنسية جمال الدين) أن نطالع كتابه المسمى « تتمة البيان فى تاريخ الافغان » ، فهذا الكتاب أكبر دليل على أفغانيته ، لأنه فضـلا عن علمه وسياسته وكياسته ، يسجل أحاسيسه وعواطفه الافغانية ، فى ذلك الكتاب . .

وحينما يذكر عدوه الألد « الوزير محمد رفيق لودى » ، الذى كان مخالفا لاصلاحات السيد ، ومعارضا للائحته المعروفة فى تشكيل الوزارة

الافغانية ، وفصل القوى المقننة والقضائية عن القوى التنفيذية ، والذى وشي بالسيد عند الامير « شير علي خان » ، والذى كان يساعد فى اخراج السيد من وطنه • ترون أن السيد يكيل له الخيانة والغدر مصحوبان بغضبه واستنكاره الشخصى له ، ولا غرو فان السـيد كان أفغـانيا والافغانيون كما يقول السيد فى ذلك الكتاب « يحفظون الحقد ، ولاسيما اذا كان فى سبيل الحق والفضيلة » •

بعد كل هذا أقول أنا محمد سعيد عبد المجيد الافغـاني من ولاية «ننكرهار» من نفس المنطقة التى ولد فيها جمال الدين الافغانى ، لما قرأت مفتريات « ميرزا لطف آلله خان » وزملائه عملاء الاستعمار والاستغلال ، تحيرت بنسج أكاذيبهم ، فأخذت القلم لأرد شكوكهم ، فجمعت ما كتبت من الاسانيد المذكورة والتحقيقات ، والآن أريد أن أرد ما بقى من أكاذيبهم فيما يأتى :

١ ــ انهم كتبوا أن والد السيد جمال الدين «صفدر» هو من أسماء الايرانيين ، ولا يوجد من يسمى بهذا الاسم فى أفغانستان •

أقول فى الجواب : لا حاجة الى التأييدات انه يوجد رجال بهـذا الاسم ، فى ولاية « ننكرهار » من ولايات أفغانستان ، حتى أعرف الآن أيضا أن واحدا من سادات «كنر» اسمه «صفدر» ، وأيضا لا أنسى حينما كنت أنا مديرا لدار العلوم الاسلامية المسماة ب «نجم المدارس» ، الواقعة فى ولاية «ننكرهار» كان عندى واحد يعمل سكرتيرا من منطقة «جيبرهار» اسمه «صفدر» فان كان لهم شك فيما قلت فليتفضلوا الى ولاية « كنر » ومنطقة «جيبرهار» لكى يعرفوا صدق ما قلت •

٢ ــ كتبوا أن اسم الخادم الخاص للسيد جمال الدين كان يدعى «أبو تراب» وهو من ألقاب علي كرم الله وجهه ، ومن أسماء الايرانيين •

أقول فى الجواب : يوجد بهذا الاسم فى افغانستان أسماء كثيرة • وثانيا هذه الكلمة عربية ، وليست بايرانية ، وكما أن الايرانيين يحبون عليا كرم الله وجهه ، لا شك أن الافغانيين أيضا يحبون عليا كرم الله وجهه ولكن لا شك أن الافغانيين لا يغالون فى حبه « كرم الله وجهه » خارج الحدود •

٣ ــ يقولون ان اللغة الفارسية التى يكتب بها جمال الدين كانت تشبه اللغة الايرانية •

أقول : ان صح ما قالوا فان السيد كان يتكلم باللغة الافغانية والفارسية والهندية والعربية والفرنسية والانجليزية والروسية .

وكان من ذكائه يتكلم بالعربية كأحد أبنائها لكن ما قال أحد من العرب انه عربى الجنسية ، مع ان السيد يحب العرب وخدم مصر أكثر مما خدم ايران .

وعلى تأكيد ما قلت فى جنسية السيد جمال الدين الافغانى عليك بما يأتى :

١ ـ يقول المستر « بلنت » فى كتابه التاريخ السرى ص٧٧ : السيد جمال الدين الافغانى لم تتجاوز تجاريبه العالمية قبل حضوره الى مصر دائرة آسيا الوسطى وهو أفغانى المولد ، وتلقى تربيته الدينية فى « بخارى » ويقول « شارلز آدمس » فى كتابه « الاسلام والتجديد » ولد السيد جمال فى « اسعد آباد » بالقرب من (كابل) بافغانستان .

ويقول جرجى زيدان فى كتابه مشاهير الشرق ج ٢ ص ٥٢ : «السيد جمال الدين ابن السيد صفدر» ولد ببيت شرف وعلم بقرية اسعد آباد من قرى « كنر » من أعمال كابل « ببلاد الأفغان » .

وقال « عبد الرحمن الرافعى » فى تاريخ الحركة القومية عصر اسماعيل ج٢ :

« ولد السيد فى « اسعد آباد » احدى القرى التابعة لـ « كنر » من أعمال « كابل » عاصمة الأفغان » .

وقال السيد رشيد رضا فى كتابه (تاريخ الامام) ج ١ ص ٢٧ :

« ولد السيد جمال الدين فى قرية «اسعد آباد» من قرى « كنر » وانتقل بانتقال أبيه الى مدينة «كابل» .

لا شك اذن أن السيد جمال الدين الأفغانى ، وقد ولد فى ولاية «ننكرهار» محافظة «كنر» وأن سادات «كنر» لهم شهرة وكثرة لايستطيع أحد انكار شىء منها ، حتى انه فى العصر الحاضر يوجد لسادات «كنر» هناك احفاد وأراض وقرى كثيرة لهم ، وأن أسرة جمال الدين الافغانى معروفة بالفضل والكفاح ، وأن ابن عم السيد جمال الدين (حسين باشا) كان من أكبر الشخصيات فى بلاد الأفغان ، وكان حسين باشا مريدا للمجاهد الكبير المرحوم نجم الدين أخند زاده صاحب

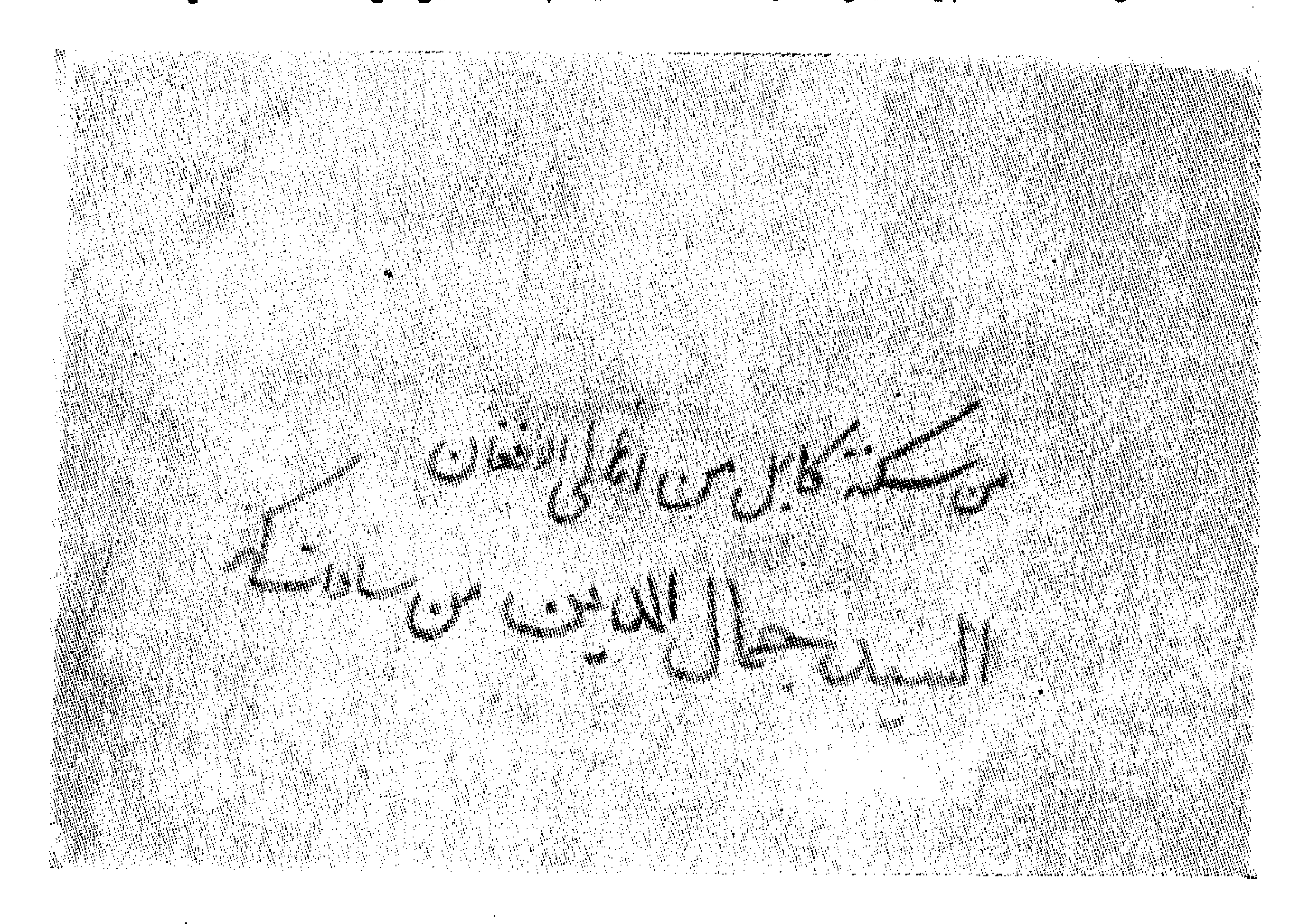
«هده» . ولهم وللمجاهد الكبير نجم الدين عليه رحمة الله قصص فى تاريخ أفغانستان ومجاهدات ضد الانجليز لا تنسى ، ومن أبناء عمومته المرحومين «السيد عباس باشا وبابا باشا» ولهما أولاد وذرية وللسادات فى محافظة « كنر » كثرة مما لا يحصى ، يقولون وكان بعض سادات كنر فى عصر السيد جمال الدين يلومون السيد لأنه ترك الجهاد بالسيف الذى نشأ عليه جدوده ، وأخذ يجاهد باللسان والقلم ، وأنه يحارب الكفار بالحبر ، أما هم فيحاربونهم بالدم .

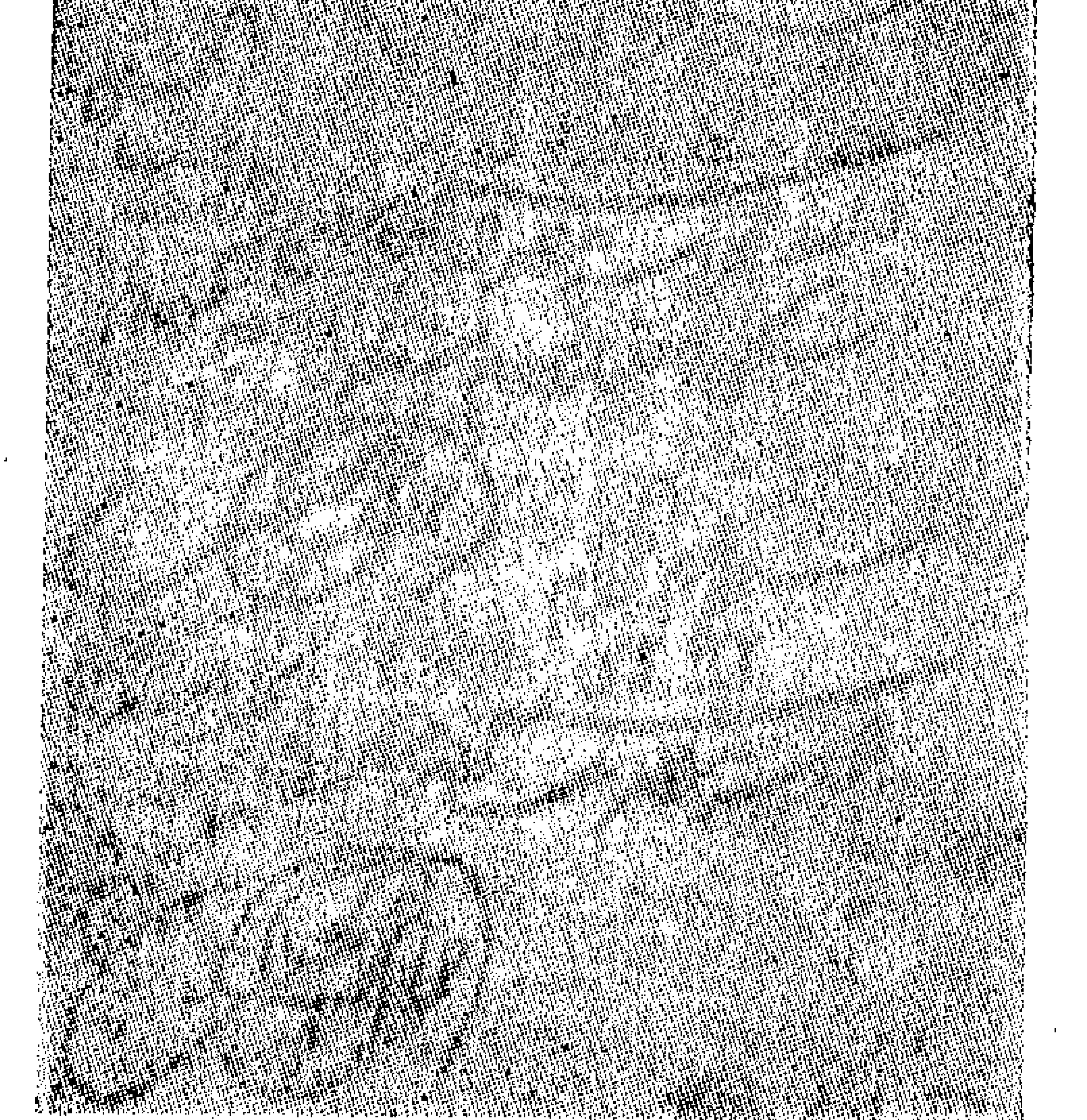
سمعت فى محافظة « كنر » أن أحد الرجال يحكى عن أبيه أن والد السيد جمال الدين حينما نقل الى عاصمة أفغانستان «كابل» كان السيد صغيرا وأن الناس اجتمعوا كثيرا حتى خافت الحكومة من وقوع حادث وأن ذلك اليوم كان باردا وأمطرت السماء فى الليل مطرا شديدا ، وفى « كابل » عاصمة افغانستان سمعت من رجل مسن فى منطقة « لاهورى دروازه » ان والد السيد جمال الدين حينما انتقل الى كابل كان يسكن مع أولاده فى منطقة (لاهورى دروازه) .

وفوق كل هذا قد ثبتت جنسية السيد جمال الدين بأنه أفغانى حينما نقل رفاته من تركيا الى « كابل » عاصمة أفغانستان ، ثم دفن فى منطقة (على آباد) وبنى عليه بناء شامخ .

(جمال الدين الافغانى)

١ ــ من سكان « كابل » ومن أهالى الأفغان السيد جمال الدين من سادات « كنر »





٢ ــ شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ

جئت الى مصر المحروسة (القاهرة) واخترت السكنى بجوار سيدنا الحسين واشتغلت بالتعليم ٠

جمال الدين الحسينى

(امضاء)

٣ ــ شهر المحرم سنة ١٢٩٢ هـ

اشتغلت بتعليم الفلسفة ٠

جمال الدين الحسينى (١)

(امضاء)

يثبت من الصورة الأولى من هذه الصور التى كتب أصلها بقلم السيد جمال الدين الحسينى ، بأن السيد من كابل عاصمة أفغانستان ومن سادات « كنر » ٠ وفيها رد قاطع على أولئك المتفيهقين الذين يحاولون أن يشوهوا جمال الحقيقة لأغراض وضيعة ٠

« سعيد افغانى »

---

(١) من مجموعة لمخطوطات السيد جمال الدين ٠ طبع دانشكاه «طهران» ٠

« العصر الذى ولد ونشـأ فيه السيد جمال الدين »

عصر ولادته : كان عصر ولادته عصر اضطرابات القبائل ،واختلافات الملوك فى افغانستان • حتى صارت كل قبيلة من القبائل الافغانية بوساطة ما بذرت أيادى الاستعمار الانجليزى من بذور الشقاق فى الأقوام ، والطوائف الافغانية ، يختلفون ، ويجادلون فيما بينهم بحيث لا مبرر لهذا الاختلاف والجدال الا الاطماع الفردية ، والاغراض الشخصية ، من حصول المال البخس ، والسلطة السوء •

كان حال القبائل الافغانية فى تلك الحقبة كحال الاعراب فى الجاهلية ، يتفاخرون بالأنساب والمظالم ، ولا يبالون بسفك دماء اخوانهم، بل يحسبونه نوعا من الشجاعة ، ومن ناحية أخرى كانت حال الامم الشرقية كحال المريض ، الذى لا يفهم مرضه ، ولا يرجع الى الطبيب لكى يعالجه ، وحال أكثر ولاتهم مع الأسف كحال من شرب الخمر والحشيش لا يفكر فى مهام الامور ولا يدرى ما يقول ، كذلك هم لا يفكرون فى ماضى الامة وحالها ومآلها ولا يلتفتون الى الاسباب والعلل التى أنزلت الحوادث السيئة ، على المسلمين ، والشرقيين وكان أهم أهدافهم التوصل الى النزهات المذنبة ، والاستراحات المهلكة ، كما كانوا يضيعون أوقاتهم الغالية فى اللعب ، وصيد الحيوانات البرية والبحرية ، حتى انهم يبحثون فى مجالسهم الرسمية ــ بدل الخطط الاجتماعية ــ خطط آلالعاب الفاجرة، لكن مع هــذا يحبون أن يطلق الناس على فضائحهم وفجائعهم اسم السياسات الثاقبة ، والاعمال الحسنة •

عصر نشأته : يشهد تاريخ الشرق وتاريخ المسلمين أن فى عصر السيد جمال الدين كان ولاة أمور الشرق والمسلمين يخافون من كل حركة اصلاحية ، تتقدم بها الشعوب والامم لكى لايقضى ذلك على اطلاق عنانهم، وتصرفاتهم السيئة • وهكذا نشأ جمال الدين فى عصر الضغط وكانت حياته ممزوجة بتلاطم التكاليف والمشقات والبروقراطية السيئة ، كما أن « امير دوست محمد خان » قبل أن يبلغ جمال الدين سن الرشد أصدر

الأوامر بنقل أبيه وأعمامه الى عاصمة كابل ، وضبط أموالهم، وممتلكاتهم، وذلك خوفا من نفوذهم وقدرتهم فى ولاية « ننكرهار » .

وبعد أن بلغ السيد سن الرشد أخذ يدرب نفسه على احتمال الآلام والمصائب ، لكى يشق طريقه الى الامام ، وينجى أمة المسلمين وملة الشرقيين بل الانسانية جمعاء من طوفان الدسائس الاستعمارية ،ومن ضغط الأوهام والخرافات ، ويحاول تفكيك أيدى الناس ورقابهم من قيود الظلم ، والاستغلال ، فى هذا العصر المضطرب ، والظروف القاسية، أعنى عصر دسائس الاستعمار ، وعصر الاوهام ، والانحرافات ، وعصر الظلم والاستغلال ، الذى ولد جمال الدين ونشأ فيه فلابد أن تؤثر هذه الاوضاع على حياته وعلى طبيعته ، وقريحته ، ونهجه ، وخططه ، أشد التأثير . ويؤدى الى أن يركز نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى جميع أفكاره فيما تحتاج اليه الامم أشد الاحتياج .

« حياة السيد جمال الدين الأفغـــانى »

السيد جمال الدين ابن السيد «صفدر»ولد فى قرية أسعد اباد من «كنر» من ولاية « ننكرهار » من أعمال « كابل » عاصمة أفغانستان أى بالطرف الشرقى من «كابل» كانت ولادته فى سنة ١٢٥٤هجرية ـ١٨٣٩ ميلادية ، فلما نقل أبوه الى كابل ، صحبه معه ، وهنـــاك بدأ دراسته بتحصـــيل العلوم العربية ، من نحـو ، وصرف ، ومعـــان ، وبيان ، وتاريخ ، ثم درس علوم الشريعة ، من تفسير ، وحديث ، وفقه ، وأصول ، وكلام ، وتصوف ، وأيضا درس العلوم العقلية المعروفة فى عصره ، من المنطق ، والفلسفة النظرية والعملية ، ويقال انه درس العلوم الرياضية ، والفلك ، وبعض نظريات فى الطب والتشريح ٠

« ســـفر السيد الى الهند لأجل التحصيل »

سافر السيد الى بلاد الهند ، ومكث فيها سنة وعدة أشهر ، وفى أثناء تلك الاقامة درس العلوم الرياضية ، وفقا للمنهج الاوروبى الحديث ثم عاد الى وطنه ٠

« سفر السيد الى الحجاز »

ولما عاد السيد الى بلاده افغانستان ، فكر فى أداء فريضة الحج ، فاتجه نحو الحجاز فى ســنة ١٢٧٣ هجرية ١٨٥٧ ميــلادية ، وفى هذه المرحلة التى طالت نحوا من عام زار أكثر بلاد الاسلام فى الشرق ٠

« عودة السيد الى افغانستان ودخوله فى سلك وظائف الحـكومة »

عاد الى كابل فى سنة ١٢٧٤هـ ، ودخل سلك الوظائف الحكومية فى أيام الأمير « دوست محمــد خان » وقد صحب هـذا الأمير فى غزوة

ل « هرات » التى كان يريد الامير فتحها، وضمها الى ملكه ، لكن مات الامير فى أثناء حصار المدينة عام ١٨٦٤ ميـلادية ، وجيوشه لم تنصرف عنهـا لموته ، بل استمر الجهاد حتى سلمت بعد مشقة ، وبعـد موت الامير « دوست محمد خان » انتقلت الامارة الى ابنه « شـير على خان » وفى أيامه وقع شيء من الفتن ، والحروب الداخلية ، فى أفغانستان ، وأرادت انجلترا التفرقة بين الامير وأهله ، لكى تلحق أفغانستان بمستعمراتها الهندية ، لأجل هذا اشتد الخلاف بين الامير «شير على خان» واخوانه ، حتى أن السيد «جمال الدين» التحق مع «محمد أعظم خان» ودخل محمد أعظم خان العاصمة «كابل» ، وأطلق سراح أخيه «محمد أفضل خان» ، الذى كان سجينا فى «كابل» ، ونادى به أميرا على أفغانستان ، لكن هذا الامير مات بعد عام ، وولى أمور الناس أخوه «محمد أعظم خان» ، وارتفع شأن «جمال الدين» ، حتى أصبح بمنزلة وزيره الاول ، وناصحه الامين، ويقال انه لزم الامير الجديد من قبل ، ومن بعد تسع سنوات كلها جهاد وصراع • وبعـد مدة بدأت الحرب من جديد ، وكانت تلك هى الفرصة التى تترقبها انجلترا لكى تتدخل وتؤجج نار الفتنة ، مستعينة على ذلك بكل وسيلة ، وأهمها الخيانة عن طريق الرشوة ، فوزعت أموالا لا حصر لها على رؤساء القبائل ، فانتزع الملك من «محمد أعظم» الذى فر الى ايران، حيث أدركته المنية بعد عدة أشهر ، فى مدينة «نيسابور» • وانتهت الحرب بهذه الهزيمة لفريق «جمال الدين» فى سنة ١٢٨٥هجرية ـ ١٨٦٩ميلادية أما السيد «جمال الدين» فأبى أن يفر ، ولم يجرؤ الامير «شير على خان» أن يمد اليه يده بسوء ، لمكانته الدينية ، وانتسابه الى آل البيت ، ومع هذا لم يكن السيد «جمال الدين» مطمئنا ، ولاسيما بعد أن شرع الانجليز يجنون ثمرة تدخلهم ، وكان السيد « جمال الدين » يحس ذلك ، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا ، وعندئذ لم يجد مفرا من التفكير فى مغادرته الوطن الاصلى « افغانستان » ، الذى كان السيد «جمال الدين» يقول : فى حق أرض الافغان : « هى أول أرض مس جسمى ترابها » .

« خروج السيد من افغانستان وذهابه الى الهند مرة ثانية ومجاهداته لحرية الهنود »

اضطر السيد جمال الدين الأفغانى أن يستأذن فى الخروج للحج، فأذن له الامير ، وكان خروجه من أفغانستان فى عام ١٢٨٥ هجرية ، فاتجه الى الهند للمرة الثانية ، ولما وصل اليها ، كان الانجليز يخشون

أن يثير الهنود عليهم ، ولذا سألوه كم مدة يريد قضـــاءها فى الهند ؟ فقال : شهرين • فلما رأوا عظيم تأثيره فى الهند ، الذين واصلوا لقاءه ، طلبوا منه أن يغادر البلاد ، مع انه لم يقم فى الهند أكثر من شهر واحد ، وهو فى هذه الفترة يعير الهنود بجبنهم ، وتخـــاذلهم ، وســكوتهم على الضيم ، وقبولهم الاستعمار الانجليزى ، وهم ملايين من البشر ، ولو كانوا ملايين من الذباب لكاد طنينهم يصم آذان بريطانيا ، ويقال ان الافغانى ما كاد يفرغ من كلامه حتى تسابقت الدموع الى عيون السامعين ، فقال لهم « اعلموا أن البكاء للنساء ، « والسلطان محمود الغزنوى » ما أتى الهند باكيا ، بل شاكيا السلاح ، ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت فى سبيل الاستقلال بثغر باسم » •

« خروج السيد من الهند وسفره الى مصر واقامتـــه فى القاهرة أربعين يومـــا وما حدث له فى هـــــذه المرة »

وأيا ما كان فقد خرج السيد الأفغانى من الهند فى ســفينة سارت به على طول سواحل الهنـــد ، حتى غادرتهـــا ، واتجهت به الى مدينـــة السويس ، فجاءها فى أواخر سنة ١٢٨٦ هجرية ، ثم اتجه الى القاهرة ، فأقام فيها نحوا من أربعين يوما ، وفى هذه الفترة القصيرة لقيه الشيخ « محمد عبده » لأول مرة ، عن طريق بعض الطلبة من الشوام ، فكان هذا اللقاء بدء العلاقة بين الاستاذ وتلميذه الاكبر ، وقد قال الشــــيخ « محمد عبده » : انى قد صــاحبته ابتداء من شــهر المحرم ســنة ١٢٨٧ هجرية وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية ، والحكمة « الفلسفية والكلامية » وجعلت أدعو الناس الى التلقى عنه ، وأخــذ مشـــايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينـــا الأقاويل • بل ويزعمون ان تلقى تلك العلوم قد يفضى الى زعزعة العقـــائد •• ولكن الطلبة السوريين كانوا أكثر الناس تقديرا لفضله ، وأحرصهم على الاستفادة من علمه فخالطوه ومالوا اليه ، وطلبوا منه أن يشرح لهم بعض كتب فى النحو •

« سفر السيد الى تركيا وما حدث له بازاء المسائل السياسية »

ولما أحس « جمال الدين » العداوة من بعض شيوخ الأزهر ، آثر أن يدعهم فترك لهم القاهرة والقطر المصرى ، واتجه الى تركيا فى سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ ميلادية ٠

يقول أحد تلاميذه وهو «أديب اسحق» : ان الأفغانى لما نزل الى الآستانة (١) من تركيا أقام بها فترة من الزمن فى مكان مجهول ، حتى اهتدى اليه أحد وزراء الدولة ، والسيد « رشيد رضا » يقول : انه استطاع أن يلتقى بالصدر الاعظم «عالى باشا» بعد وصوله بأيام قليلة، وكان السياسيون من الأتراك فى ذلك العهد يرون أن نجاة تركيا لن تكون الا عن طريق احياء « الجامعة الاسلامية » ، ولذا يعلم « عالى باشا » قدر أمثال « جمال الدين » ممن ينادون باتحاد المسلمين ، فى مختلف أقطار الأرض ، للوقوف فى وجه الاستعمار الغربى ، الا أن السيد « جمال الدين » ينادى بأن لا نجاة للمسلمين الا باتحادهم والعودة الى الأصول الدينية الأولى ٠ وكان الصدر الأعظم « عالى باشا » يقول : ان ما يحتاج اليه المسلمون أشد الاحتياج ، هو ازدياد النعزة الدينية فقط ، وايا كان الأمر فقد رحب الأتراك بالسيد الأفغانى أحسن ترحيب ، وذلك بسبب أنهم أحسوا منه عداوته القوية للانجليز ، ورغبته الشديدة فى نهضة المسلمين ، وكان الصدر الأعظم قد خصص له وظيفة عالية ، وجعله عضوا فى مجلس المعارف ، وكانت سماحة السيد وزيه الأفغانى الوطنى سببا أوليا فى اقبال الناس عليه ، اذ كان يلبس جبة وكساء وعمامة عجراء (٢) فلما استمعوا اليه وجدوا عنده آراء جديدة حية ، ولمسوا فيه غيرة على الدين ، أكثر من رجال الدين ، الرسميين ، فزادوا احترامه واشتد اقبالهم عليه ، كما زاد فى الوقت نفسه نفور رجال الدين منه وعنفهم نحوه ، لأجل الأغراض الشخصية ، لكن ذلك لم يحل دون أن تسرى آراؤه السياسية والاجتماعية ، فى عقول المستمعين اليه فوصلت مكافحته الى حد أن المستر « بلنت » يعترف بأن سعى العثمانيين فى

---

(١) هى مدينة فى تركيا التى تسمى أيضا ب « استانبول » ٠

(٢) ضخمة ٠

تحويل حكومتهم الى حكومة دستورية فى بادىء الأمر قد ينسب الى شيء من تأثير « جمال الدين » الأفغانى .

وعلى أى حال قد أقام السيد فى عاصمتهم يحاورهم ، ويخطب فيهم، وأنه لا ينقطع عن القاء المحاضرات فى المساجد والمحافل ، وبخاصة فى جامع « أيا صوفيا » وجامع « أحمد » ، وبذلك ثار حسد الحاسدين ، وكيدهم « لجمال الدين » الافغانى ، وذلك من احدى آفات الشرق ، أن ما من شخص ينجح ولو نجاحا يسيرا - لا يضر أحدا ولا يقطع الرزق عن أحد ، بل يكون وسيلة لفتح أبواب الخير - الاوأوغر نجاحه صدور الأشرار فأخذوا يحاولون هدمه ، وتجريحه حتى يكون فى زمرة العاجزين معهم ، واذا عجزوا عن تحطيمه ، ووصلت مكافحة أهل الحق الى النجاح والفوز يجتمع أهل الهمم الدنية يقولون أقاويل كثيرة ويتظاهرون بأعمال الصلحاء ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، حتى كثيرا ما يحاولون قلب الحقيقة فينسبون النجاح والفوز الى أنفسهم . وقد عبر الأفغانى عن هذا المعنى فى مجلة العروة الوثقى فقال : « لا يبعد أن يسخر بالعالم الفاضل أناس لا خلاق لهم ، أو يقصده بالاضرار من لا ذمة له ، ولكنهم بأنفسهم يهزأون ، وبمصالحهم يضرون ، ولا يطول عليهم الزمن فى هذا العمل ، بل لا يلبثون اذا بدت الثمرة الشهية أن يهرعوا لاقتطافها .. ولا يسعهم بعد ذلك الا الحمد لغارس الشجرة ، ثم قال : بل ربما نسبوا الفضل لأنفسهم .. » وعلى هذا من المؤسف أن أحد أئمة رجال الدين وهو شيخ الاسلام فى تركيا الذى يعرف باسم حسن فهمى أفندى قد حسد وحقد على السيد جمال الدين حينما اقترح السيد فى مجلس المعارف طرقا خاصة لنشر التعليم .

وفى الواقع أن الحقد والحسد وليدا الجبن والضعف ، اذ أن القوى الشجاع لا يحقد ولا يحسد لأنه يصل الى ما يريد ، أما الجبان فهو لا يستطيع البناء ، فيحسد ويحاول الهدم . وقد اختار « حسين فهمى افندى » أن يطعن خصمه فى اسلامه حتى ينفر الناس منه وبدأ الصراع من الخطاب الذى القاه السيد جمال الدين الافغانى فى « دار الفنون » فى أواخر سنة ١٨٧٠ ميلادية رمضان سنة ١٢٨٧ هجرية ، وكان الافغانى أراد أن يتقى شر كائديه ، فعرض خطابه قبل أن يلقيه على وزير المعارف، وغيره من كبار القوم ، فأثنوا عليه ، وأعجبوا به ، وجاء يوم الخطاب واجتمع الناس لسماع ذلك العالم الغريب الجليل ، الذى يتكلم بلسانهم، وكان الكتاب خاصا بالحديث عن الصناعات والفنون ، وما حققته للناس من منافع ، وفيه استطرد جمال الدين الافغانى الى المقارنة بين الفلسفة

والنبوة فقال « ان الفلسفة صنعة من أكمل الصناعات ، وأنها تكتسب بالبحث والدرس ، أما النبوة فمنحة الهية يختص بها الله من يشاء ، أو يصطفى من عباده ، كذلك تفترق النبوة عن الفلسفة أو الحكمة من جانب آخر وهو أن النبى معصوم يهبط اليه الوحي دون مقدمات أو طلب ، أما الحكيم أو الفيلسوف فيخطىء ، ولا يصل الى الحقيقة الا بعد جهد كبير ، وقد لا يصل اليها أبدا . فبعد هذا بدأ شيخ الاسلام يبث حقده » (١) ويقول أن السيد جمال الدين يزعم ان النبوة احدى الصناعات ، ثم بعث رجاله الى وعاظ المساجد يستعديهم على الأفغانى ، لكي يهاجموه ويرموه بالالحاد والكفر ، وأراد جمال الدين أن يدفع هذه الفرية عن نفسه ، فطلب محاكمة شيخ الاسلام على بهتانه ، ووجدت الصحف فى هذا النزاع غذاء لقرائها ، فنسجت حوله ، وزادت فيه ، وانقسم الناس الى فريقين : أحدهما يناصر شيخ الاسلام ، والآخر يعضد خصمه ، وأن بعض العقلاء نصح (السيد جمال الدين) أن يلتزم الصبر ، وأن يدع للأيام مهمة الكشف عن بطلان المبطلين ، لكنه أبى الا أن يظهر الحق .

وصلت المناقشة والخلاف الى حد اضطر الصدر الأعظم أن يحسم الخلاف ، وطلب من السيد أن يتكرم بمغادرة الاستانة ، لكي يعود اليها فيما بعد عندما تهدأ النفوس ، هذا هو ما حدث لفيلسوفنا السيد « جمال الدين » فى بلاد خليفة المسلمين .

« خروج السيد من تركيا واتجاهه الى الحجاز ثم الى مصر »

غادر جمال الدين تركيا مغضبا ، واتجه نحو الحجاز ، فأقام به فترة قصيرة ، لكن لعدم ملاءمة الجو لصحته أراد أن يقصد مصر للمرة الثانية .

« عودة السيد الى مصر مرة ثانية وما حدث له في مصر »

عاد السيد الى مصر وذلك فى ٢٢ مارس سنة ١٨٧١ ميلادية

---

(١) من كتاب جمال الدين الافغانى للدكتور محمود قاسم ص (١٩ ــ ٢٠)

وأوائل سنة ١٢٨٨ هجرية وكان في تلك الأيام « رياض باشا « ناظر النظار » رئيس الوزراء في مصر هو الذى استماله للمجيء اليهـــا ، وحسن له الاقامة بها وكان قد عرفه عندما ليقه فى تركيا ، وأدرك انه الرجل الذى يمكن الاعتماد عليه فى تحريك الرأى العام المصرى ، تجاه الخطر الغربى ، الذى بدأ يتضح فى الأفق ، لقد كان رياض باشا شديد الرغبة فى النهضة المالية والسياسية والفكرية ، وكان يعتقد انالأفغانى يستطيع أن يشعل الغيرة الوطنية ، اذ لمس فيه أنه يستطيع أن يدفع الناس الى الحركة والثورة والمطالبة بالحقوق ٠

فلما جاء « جمال الدين » الى مصر رحبت به حكومتها » وعينت له مرتبا قدره عشرة جنيهات ، وخصصت له مسكنا ليدرس فيه لطلبة العلم ــ ان شاء ــ ، ويقال انه سكن فى الأزهر ، ثم تركه ٠ ويقـال انه كان ينزل بخان الخليلى أو بحارة اليهود ، وقد ذكر بعضهم أنه جرت بينه وبين علماء الأزهر مناظرة انتهت الى المنافرة ٠

وكان لا يذهب اليه الا زائرا ، ولم تكن زيارته له الا فى يوم الجمعة ، لكن مع هذا جاء اليه الطلاب والتلاميذ ، من كل طرف ، فقرأ عليهم كتبا مختلفة فى الدين والفلسفة والتصوف ، لكن تأثيره فيهم من الناحية السياسية كان أعظم ، وكانت له مجالس معروفة مشهورة ، وكان من عادة السيد أنه يلزم داره طيلة النهار ، فاذا أقبل الليل يخرج متوكئا على عصاه الى مقهى قرب الأزبكية ، يدعى «قهوة البوستة» وهو يجلس والفئة من تلاميذه تتألف حوله ، على هيئة نصف الدائرة ، فيهم اللغوى، والشاعر ، والمنطقى ، والطبيب ، والكيماوى ، والتاريخى ، والجغرافى ، والمهندس ، والطبيعى ، فيتسابقون فى القاء أدق المسائل عليه ، فيحـل عقد اشكالاتها فردا فردا ٠٠ بلسان عربى مبين ، يتدفق كالسيل من قريحة ليس فيهـــا الكلال ، فيدهش الســـامعين ويجيب الســائلين ، والمعترضين ، بما يقنعهم ، تدوم هذه الندوة حتى يشـتعل رأس الليل شيبا ٠٠ فيعود الى منزله ، بعد أن ينقد صاحب المقهى ثمن ما تناوله الآخرون ٠ وكان السيد الافغانى لما عرف أحوال المصريين وقضاياهم ، أحزنه ما انتهوا اليه من بؤس وتدهـور فى أيام اســماعيل ، وقد أيقن « جمال الدين الافغانى » ان لا سبيل الى ايقاظ المصريين من نومهم الا بتعليمهم ، لأن الجهل أصدق حليف للعدو ، ووضع أسس التضامن بين أبناء البلد ، وكان المصريون فى عهد « السيد جمال الدين » كما قلنا مواجهين لأشد المشاكل ، وكانوا يعتقدون انهم عبيد لملوكهم ، لا يملكون الا الطاعة

والرضا بالضيم ، ولم تكن عند أكثرهم فكرة عن الوحدة ، واحياء الحقوق، حتى قيل انه لو رضي الملوك أن يشركوا رعاياهم في الحكم فأنشأوا لهم مجلسا نيابيا ، لرأيت عجبا ، اذ سوف لا يكون هناك أثر لحزب اليسار أو المعارضة ، بل سوف ينضم الأعضاء جميعهم الى ناحية اليمين ، وسيكونون كلهم آلة صماء » وسيرى كل عضو أن الدفاع عن الوطن ومناقشة الحاكم والحساب قلة أدب ، وسوء تدبير ، هذا ما يلمسه الافغاني في عصره ٠ اذن من العبث في رأيه أن يبدأ الاصلاح بالنظم السياسية والنيابية ، بل يجب اصلاح النفوس والعقول أولا « فانها لو صلحت لما وجد الناس مشقة في اصلاح حكومتهم » هذا وقد أدرك الافغاني أن الكتابة في الصحف أقرب الى عقول العامة ، وأكثر وقعا في نفوسهم ، وأشد تحريكا لشعورهم ، لذلك جهد في انشاء بعض الصحف وعهد الى جماعة من اتباعه أن ينشئوا جريدة « مصر » وكان « أديب اسحق » يرأس تحريرها ثم وجد أن الاسكندرية أفضل من القاهرة في مصادر الأخبار فطلب من « أديب اسحق » أن ينتقل اليها ، وأن يسهم مع « سليم نقاش » في اصدار صحيفة أخرى هي صحيفة « التجارة »، ثم قال لتلميذيه الامام « محمد عبده » « وابراهيم اللقاني » أن يكتبا في هاتين الصحيفتين مقالات أدبية ، واجتماعية ، بقدر استطاعتهما ٠

أما « جمال الدين » فقد اتجه الى الكتابة في كثير من الموضوعات السياسية ، والاجتماعية ، فكان ذلك عاملا على اذاعة صيته وظهور أمره وكان يكتب باسمه الحقيقي ، وأحيانا كان يوقع مقالاته باسم مستعار هو « مظهر بن وضاح » وقد أثارت كتابته السياسية ضجة كبرى ،وكان لها دوى شديد في مصر ورجع صداها في انجلترا ، اذ بين السيد جمال الدين الافغاني أساليب غدر الانجليز وحيلهم في استعمار الشرق ، وكشف عن طرقهم في استخدام التفرقة بين أمرائه وشعوبه ، وبين أنهم يدعون بأنهم يتدخلون لحماية العروش الهاوية مع أنهم يضمرون الفتك بالشعوب٠ ويتظاهرون في الوقت نفسه بالعطف عليها ، ومحاولة اصلاح أمرها ، ودفع الظلم عنها ، ورفع مستوى الحياة بين أفرادها ٠ وقد بلغ اهتمام الانجليز بهذه الكتابات الى حد أن « جلادستون » رئيس حزب الأحرار في انجلترا أشار الى « جمال الدين » في كتاباته ووصفه بأنه من قادة الفكر في العالم الاسلامي ٠

وكانت تعاليم الافغاني وأحاديثه السياسية في مجالسه لأجل ايقاظ الهمم الراكدة ، وتحريك العزائم الخامدة ، وما زال يذكر المصريين بسوء

حالهم ، ولا يمل من ان يدعوهم (١) أن قد آن لهم أن يتحرروا من رقهم وعبوديتهم وكان لا يجد حرجا فى أن يعيرهم بجبنهم ، وخوفهم من الانجليز، بل من كل الشعوب التى حكمتهم من أزمان بعيدة . وكان يتساءل : لماذا يقبلون العسف ويرتضون الهوان ؟ ثم يخدعون أنفسهم عندما يبررون قبولهم للذل بحجج واهية زعموا أنها من الدين ، كقولهم : انهم قوم صابرون راضون بما قسم الله لهم ، مع أنهم كانوا يرون فى أثناء صبرهم وتواكلهم أن الولاة ما زالوا على قسوتهم . يقول السيد : « لو كان لدى هذه الرعية قليل من الاعتداد بالنفس ، والاحساس بالكرامة ، لما قبلت الذل والضنك ، أليس عجبا أن يضحك هؤلاء القوم فى حين يجدر بهم البكاء ؟ لقد ألفوا أن يقابلوا المصائب بالمرح والابتسام » .

وليس هذا الخلق خاصا بالمصريين وحدهم ، بل نجده بصور متفاوتة لدى الشعوب الشرقية بصفة عامة ، كما أن الكواكبى يقول لأهل الشرق : « هل لكم فى هذا الصبر فخر أو لكم عليه أجر ؟ كلا والله ساء ما تتوهمون ، ليس لكم الا القهر فى الحياة ، وقبح الذكر بعد الممات ، لأنكم ما أفدتم ولا استفدتم من الوجود ، بل أتلفتم ما ورثتم عن السلف، وصرتم بئس الواسطة للخلف .. تشكون الفقر ، ولاسبب له غير الكسل، هل ترجون الصلاح وأنتم يخادع بعضكم بعضا ، ولا تخدعون الا أنفسكم . ترضون بأدنى المعيشة عجزا ، وتسمونه قناعة ، وتهملون شئونكم تهاونا وتسمونه توكلا .. لماذا تحكمون فيكم الظالمين حتى فى الموت ؟ أليس لكم من الخيار أن تموتوا كما تشاءون لا كما يشاء الظالمون ؟ هل سلب الاستبداد ارادتكم حتى فى الموت ؟ » .

وكان الافغانى يهاجم الدول الأوروبية التى كانت تتدخل فى الشئون المصرية ، وكان السيد جمال الدين يرى أن الأحزاب لا تكاد تتألف حتى يدب الشقاق بين قادتها ، وينصرف عنها المخلصون . لكن نظرا لأن الحزبية كانت اذ ذاك فى مصر أمرا واقعا فقد اضطر من سنة ١٨٧٨ م أن يلتحق بالنظام الماسونى الذى يربط أعضاءه برباط متين . حتى أصبح السيد من الرؤساء بعد وقت قصير (٢) لكن لما رأى الافغانى أنه لا يستطيع العمل مع أمثال هؤلاء الاخوان الخاملين الخائفين ، أنشأ محفلا وطنيا ، وجمع فيه طلابه ومريديه ، وبلغ عدد هؤلاء نحوا من ثلثمائة عضو وكان هو رئيسه ، واشتدت حركة المطالبة بالحقوق ، وكان

---

(١) كتاب جمال الدين الافغانى حياتهوفلسفته ـ تأليف دكتور محمود قاسم ص (٢٨ ـ ٢٩)

(٢) كتاب زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ـ تاليف أحمد أمين ص (٧٢ ـ ٧٣) .

يلقنهم محبة الحرية ، ويحرضهم على المطالبة بالحياة الدستورية لمراقبة ملوكهم ، لذلك طلب توفيق باشا من الأفغاني أن يقابله وأكد له أنه يحب الخير للمصريين ، وانه يرغب في النهضة بمصر ، ولكن ماذا يستطيع عمله وحده اذا كان الشعب خاملا جاهلا ؟ . فقال جمال الدين : « ليسمح لي سمو أمير البلاد أن أقول بحرية واخلاص : ان الشعب المصري كسائر الشعوب لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفراده، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل ، فبالنظر الذي تنظرون به الى الشعب المصري وأفراده ينظرون به لسموكم وان قبلتم النصح من هذا المخلص واسرعتم في اشراك الأمة في حكم البلاد عن طريق الشورى .. يكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم » . وأظهر توفيق بن اسماعيل انه يقدر هذه النصيحة ، ووعد أن يعمل للاصلاح اذا جاء دوره ، لأنه في الوقت كان الاختيار التام لأبيه اسماعيل وكانت هذه الصلة بين توفيق والافغاني سببا في ازدياد نفوذ توفيق اذ التف حوله رجال مصر من أصحاب المناصب الرفيعة وأرباب القلم ، الذين ينشرون آراءه السياسية والاصلاحية ، وفي هذا الوقت كانت مظالم اسماعيل وعدم تعقله في اجراءاته وصلت الى حد ان كل الشعب جعل يطلب عزل اسماعيل ، ويقال انه اقترح السيد على تلميذه محمد عبده أن يقتل اسماعيل ، وأن محمد عبده اعترف بأن السيد جمال الدين كان حريصا على خلع اسماعيل ، وأنه اقترح عليه ان يقتله ، وكان محمد عبده أراد انفاذ أمر أستاذه لكنه لم يفعل لأنه قد جاء نبأ بعزل اسماعيل من الاستانة في ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩ ميلادية . وفي اليوم نفسه جاء الى توفيق نبأ بتوليته خديويا على مصر ، وجاء في أول خطاب توفيق ما يدل على أنه أراد أن يفي بوعده الذي قطعه على نفسه من قبل لجمال الدين وصحبه ، وهو ضرورة النهوض بالبلاد ، وسداد الديون ونشر التعليم ، وتحقيق الحكم النيابي، لكن بعد مدة ظهر أن توفيق كان ضعيف الرأي والعزم والارادة ، وشديد التردد ، يخاف على عرشه ولم يعمل بما وعد بل قصد طرد السيد جمال الدين وفراره من مصر . (١)

(١) من حديث لمحمد عبده في منزله في ١٨ مارس سنة ١٩٠٣ كتاب التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر في ص (٣٥٤) .

((مجمل الخدمات التي قام بها السيد جمال الدين الأفغاني والحزب الوطني في مصر ..))

أقام السيد فى مصر ثمانية أعوام أدى فيها خدمات جليلة لمصر ، والمصريين ، والشرق والشرقيين ، والاسلام والمسلمين • بل وللانسانية جمعاء • كما كتب الشيخ محمد محلاتى الغروى الفارسى فى كتابه .. كفتارخوش يارقلى (١) عن الخدمات التى أداها السيد لمصر فى أثناء اقامته فيها ما يلى :

وقد أعجب الشيخ محمد عبده فى ذلك الوقت بشخصية جمال الدين ، فلازمه ملازمة الظل ، فأخذ يدرس عليه الفلسفة ، وعلم الكلام ، والفقه ، والاصول ، والفلسفة الجديدة ، وأصول العصر الحاضر ومبادئه ، كما أن عرابى باشا والمهدى وتلاميذه وأغلب المثقفين فى مصر يعملون لخير البلاد ، ورفاهية الشعب المصرى ، ونجاته وحريته ، وكان السيد يبدو كأنه صاحب نفس عيسى ، ويد موسى ، فيؤثر فيهم تأثيرا قويا ، وقد أقدم هنا على تأسيس الحزب الوطنى ، فهرع اليه الشـــباب المصرى ، فكان لارشاداته أثر كبير فى تهذيب نفوسهم ، فغرست فى قلوبهم حب الاسلام ، والعمل على توحيد كلمة المسلمين ، وأيقنوا أن اتباع نصائحه فيه حياة للأمة الاسلامية ، فلبوا دعوته وقدروها حق قدرها ، والتف حوله شباب المسلمين فى مصر اذ كان يفتح لهم المشاكل بمفتاح السعادة ، الذى كان فى يده المباركة ، وانعقدت أول جلسة من جلسات الحزب الوطنى المصرى برئاسته • وكان هذا الحزب دقيق التنظيم للغاية ، فلم يكن للصوص مجال بين صفوفه ، وكان محرما على أعضائه أن يتخذوه وسيلة للشهرة ، أو أن يتخلقوا بأخلاق الأجانب ، فكان الحزب بذلك ميزانا يزن الأشخاص ، ويفرق بين الغث والثمين ، وكان أعضاؤه بعيدين كل البعد عن العجب والانانية ، مستعدين كل الاستعداد لبذل كل مرتخص وغال فى سبيل رقى البلاد ، ورفعة شأنها ، وكان جمال الدين على رأسهم يدعوهم ويحمسهم وكان عدد أعضاء الحزب الوطنى المصرى ثلثمائة عضو فى قول أو أقل من ذلك فى أقوال أخرى ، وكان جمال الدين يطلع المجتمعين على حقائق ما فى

---

(١) طبع هذا الكتاب بسعى واهتمام السيد محمود فى المطبعة العلوية بالنجف الاشرف في سنة ١٣٤٠ هجرية •

دين الاسلام المبين ، وشريعة خير المسلمين من سـمو ورفعة فى حطب نارية ، يلقيها بين الحين والحين ، ويبرهن على أن الاسلام أرشد الناس عن طريق كتابه المبين « والقرآن الكريم » الى ما فى الرقى المادى والمعنوى للطبيعة البشرية .

وبين السيد أن أجدادنا وأسلافنا بلغوا أعلى مراتب العز والسؤدد ، حينما تمسكوا به ، وألموا بحقائقه وحققوا أهدافه .

فلما انحرفوا عن السير فى هذا الطريق السوى ، ونبذوا أحكامه وراء ظهورهم ، سقطوا الى هذا الدرك من الحياة ، لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وأنه لا مجال الى الشكوى من الأوروبيين واتهامهم بأنهم سبب انحطاطنا ، لأن المسلمين لم يذلوا الا بعد انحرافهم عن الطريق القويم . ثم بين أن الوسيلة المثلى لخلاص المسلمين مما ترددوا فيه ، انما هى التمسك بحبل الله المتين كما بين القرآن . وقد اعتلى السيد منبر الخطابة عند انعقاد الجلسة الخامسة عشرة للحزب الوطنى وافتتح كلامه بقوله : « اللهم انك قلت وقولك الحق (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) وحيث أن دعوتى قد وجهت الى هذه‌النفوس الزكية التى اجتمعت هنا قلبوها طائعين مخلصين لوجهك الكريم ، فاللهم أرشدنى حسب قولك الحق الى سبيل الهداية .

أيها السادة : اعلموا ان المدنية الانسانية الفاضلة ، وأن الصراط المستقيم للسعادة لا يتحققان الا بالقرآن .

فالقرآن الكريم هو الدستور المقدس ، وهو خلاصة أشرف الأديان . والبرهان القاطع لخاتم الأديان السماوية الى يوم القيامة ، وهو الذى يكفل السعادة فى الدارين والنجاة فى الحياتين ، فـواه لنا كيف غفلنا عن حقيقته !

وقد أخذ هذا الدستور بيد أسلافنا الى طريق السعادة والمجد ، ورفعهم الى السماكين ، رغم أنهم لم يكونوا فى درجتنا من الحضارة ، فكيف تركناه وراءنا ظهريا ، واكتفينا بتلاوته على القبور فى ليالى الجمع ، وجعلت تلاوته وسيلة يشغل الصائمون بها أوقاتهم ، ويتسلى بها الأطفـال فى المكاتب ، واتخذنا منه التعاويذ والنذور والقرابين ، وجعلناه مطية للايمان الكاذبة ، ووسيلة للتسول ، وزينة لرقاب الأطفال ، وقلائد العرائس ، ومعاصم الخبازين ، وحماية للمسافرين ، وسلاحا لمن أصابهم مس من الجن ، وزينة للحفلات ، وأقواس النصر وحرزا للمصـارعين ، وسلعة

للتجارة بين البلاد المختلفة ، ورأس مال لباعة الكتب ، وتبركا في الانتقال من بيت الى آخر ، والة في يد الشحادين من ارادل الرجال والنساءفى الطريق والشوارع ... فوا أسفاه ! ان سوره من القرآن هى « سورة العصر » لا تزيد عن ثلاث آيات قد أدت الى سعادة شرذمة من أصحاب الصفة ، فاستطاع أفرادها أن يحولوا بطحاء مكة التى كانت محطا للشرك، ودارا للأصنام الى بيت للتوحيد ومصلى للعبادة .. فوا لهفتاه ! ان هذا الكتاب السماوى المقدس المنزل من قبل الذات الالهية ، والذى هو ذخيرة لكل السعادات الانسانية ، قد انحط قدره ،وصار أقل فى الانظار من ديوان كليات سعدى وحافظ الشيرازيين ، وعمر بن الفارض ، والمثنوى لجلال الدين الرومى ، وصارت العناية به أقل من العناية بها ، فلم يستفيدوا من مواعظه وآدابه وحكمه رغم أن الأفواه والعيون تتفتح عجبا عند سماع أبيات من الشعر فى الوقت الذى لا يأبه فيه انسان بالقرآن عند تلاوته ، ولا يحاول تدبر معانيه . أى وحقك .. سبحانك .. اللهم ! .. انك القائل وقولك الحق .. « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » . لقد نسيناك وحرمت مرآة قلوبنا من انعكاسات معرفة حقيقتك .. سبحانك اللهم لقد قلت وقولك الحق « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وقد حولنا وجوهنا عن طريق طاعتك ، فاستبدلت عزتنا وسعادتنا ذلا وهوانا ، فعليكم بذكر الله الأعظم وبرهانه الأقوم ، فان نوره المشرق هو الذى به تخرج الهواجس ، ويتخلص من عتمة الوساوس ، وهو مصباح النجاة ، من اهتدى به نجا ، ومن تخلف عنه هلك ، وهو صراط الله القويم ، من سلكه هدى ، ومن أهمله غوى ، عليكم بالفوز مما انتثر من لآلىء مقالات صاحبه عليه السلام ، لقوله صلوات الله على قائله : « اذا أراد الله بقوم سوءا أقل منهم العمل وأكثر فيهم الجدل » وقوله عليه السلام :

« ثلاث لا يقل بها قلب امرىء مسلم . اخلاص العمل فيه ،والنصيحة لأمراء المسلمين ، ولزوم جماعتهم . المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وقوله عليه السلام : « لايزال الأمر فى أمتى ما لم يتخلقوا بأخلاق الفرس» . وأشباه هذه الغرر الزاهرة التى تضمن واحدة منها سعادة الأمم كلها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وحينما نزل السيد من فوق المنبر وجد أن ثلث أعضاء الجلسة قد اغشى عليهم من فرط التأثر ، ووجد الباقين على وشك أن يفقدوا رشدهم فبكى السيد وأخذ يردد قوله اى وحقك اللهم نسيناك فأنسيتنا أنفسنا ،ويظل يردد هذا القول حتى يسقط ، ويفقد صوابه ، وهكذا ظل الحاضرون ثلاث ساعات بين بكاء وأنين واغماء .

ثم تقدم « حسن عطا بك » صهر خديو مصر الى السيد ورش على وجهه ماء معطرا فأفاق واختتم كلامه بقوله : « يجب على كل مسلم يبغى نجاة الإسلام والمسلمين أن يعمل بأحكام القرآن ويطبقها تطبيقا دقيقا، وان يقتدى بأسلافه من أهل الصدر الأول من المسلمين ، وأن يجعل دأبه خلوص النية ، وصفاء الباطن ، وخدمة المجتمع ، والابتعاد عن البخل والحسد والطمع ، وأن يلتزم بساطة العيش، والعمل بالواجبات ،واجتناب المحرمات ، فهذه هى الوسيلة الناضجة التى اتبعها أسلافنا فنجوا » .
وقد تحمس الناس وكان أول عمل عملوه أنهم باعوا ما يملكون من أثاث وفرش ، ومن وسائل الركوب والترف ، وتبرعوا بثمنها لصندوق الحزب الوطنى ينفق منها على المعوزين والمحتاجين ، والعجزة ، وفى سبيل اصلاح الأمة الاسلامية . كما تعهد كل عضو من أعضاء الحزب ان يطيع الله ، وأن يطبق ما جاء فى القرآن ، وأن يتلو حزبا منه كل يوم على الاقل ، وأن يعمل فيه فكره بتدبير وامعان ، وأن يسير على الأسس الآتية :

١ ـ أن يؤدى الفرائض والنوافل وأن يلزم صلاة الجماعة .

٢ ـ أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

٣ ـ أن يدعو الى الاسلام .

٤ ـ ألا يجادل أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن .

٥ ـ أن يحسن الى الفقراء .

٦ ـ أن يسعف المحتاجين ويعينهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .

٧ ـ أن يصل الرحم .

٨ ـ أن يعود المرضى .

٩ ـ أن يتفقد أحوال أصحابه الغائبين .

١٠ ـ أن يرحب بالقادمين .

١١ ـ ان يؤتى الزكاة .

١٢ ـ أن يرشد الجاهل وينبه الغافل .

١٣ ـ أن يخلص نفسه من الخصال الرديئة ولا سيما العجب والأنانية وحب الذات وما شابه ذلك .

١٤ ـ أن يعفو ويصفح عن أخطاء الآخرين •

١٥ ـ أن يكظم الغيظ •

١٦ ـ أن يتجنب اللهو واللغو •

١٧ ـ أن يحمل كل عضو من أعضاء الحزب دفترا يسجل فيه المواد السبع عشرة الآتية :

(أ) الاحسان الى الفقير •

(ب) الاستفسار عن الغريب •

(ج) تحية القادم •

(د) تفقد أمور الغائب •

(هـ) الأمر بالمعروف •

(و) عيادة المريض •

(ز) صلة الرحم •

(ح) ارشاد الجاهل •

(ط) تنبيه الغافل •

(ى) مناقشة أهل الكتاب بالحسنى •

(ك) التوبة عن الفسق •

(ل) ازالة الرذيلة •

(م) العفو عن الخطأ •

(ن) كظم الغيظ •

(س) هداية الكافر الى الاسلام •

(ع) أداء الحق •

على أن يسجل كل منها فى الدفتر على حسب هذا التسلسل ، وأن يأخذ كل انسان نفسه بالعمل بها ، ثم يسجل الجميع هذا فى سجل عام يضم جميع أعمال رجال الحزب الوطنى ، حتى يعرف محصول الحزب حينما يعقد مؤتمره العام •

وقد قام أعضاء الحزب بتنفيذ هذه التعاليم ثم أحصوا ما حصلوا عليه من نتائج فوجدوه كالآتى :

١ ـ تسعون ألف تومان ايرانى أى ما يساوى ١٨٫٠٠٠ جنيه مصرى في ذلك الوقت جمعت من التبرعات النقدية للأعضاء .

٢ ـ بلغ عدد المرضى الذين عادهم أعضاء الحزب وأعانوهم ألفا وخمسمائة مريض .

٣ ـ بلغ عدد الغائبين الذين تفقدوهم خمسمائة غريب .

٤ ـ عدد الحاجات التى قضوها اثنتى عشرة ألف حاجة .

٥ ـ بلغ عدد الذين تابوا من شاربى الخمر وتاركى الصلاة خمسة وعشرين الفا .

٦ ـ ترك جميع من كانوا في الادارات الانجليزية أعمالهم وانضموا الى المجاهدين من رجال الحزب الوطنى .

٧ ـ بلغ عدد الأكابر الذين تنازلوا عن ثرواتهم للحزب الوطنى وتركوا حياة الترف خمسمائة .

٨ ـ بلغ عدد من عوضوهم من التجار المفلسين ٧٥ شخصا .

٩ ـ بلغ عدد من مدوهم بالمعونة من أبناء السبيل ٢٠٦ اشخاص .

١٠ ـ بلغ عدد من اعتنق الاسلام من النصارى واليهود ١٢٠ شخصا

١١ ـ بلغت مجالس الدعوة للاسلام ٤٤ مجلسا .

١٢ ـ بلغ عدد الحلول العقلية والاجتماعية التى أعطيت لمن طلبها ١٢٠ حلا .

وعلى هذا النهج أخذت الخدمات الاجتماعية للحزب الوطنى فى كل ناحية للحياة المدنية تتوسع وتقوى يوما بعد يوم .

كما أدرك اللورد « كرومر » المستشار البريطانى أن نفوذ بريطانيا آخذ فى التقلص بدرجة عجيبة ، وأن تجارة الانجليز كسدت كسادا شنيعا ، ورأى المبشرون فى القارة الأفريقية أن ما عمله الحزب الوطنى المصرى يبلغ أضعاف ما فعلوه هم فى سنوات عديدة ، وأصيب الموظفون الانجليز بكثير من الفزع ، لأنهم رأوا أن المصريين لا يريدون التعاون معهم

مما أصاب العمل بعقم شديد ، كما لاحظ أصحاب الشركات التجارية الانجليزية ذلك ، وأن المصريين يعدونهم أعداء للاسلام والقرآن ولايرغبون في التعاون معهم ، مما أصاب تجارتهم بكساد عجيب • فكتب اللورد « كرومر » فى تقريره الى حكومته : أن الحزب الوطنى الذى يمسك بزمامه « جمال الدين » الافغانى لو ظل يواصل نشاطه بهذه الطريقة فانه سوف يقضى على التجارة الانجليزية فى مصر ، وافريقية ، وآسيا ، كما يقضى على النفوذ الانجليزى قضاء مبرما ، وبين أن وجود الحزب الوطنى أشد عائق يقف فى طريق هذه السياسة وأنه يجب القضاء على الحزب قضاء مبرما •

وكتب في تقرير آخر يقول : ان الحزب الوطنى هو أوضح مظهر لنهضة العرب منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، وهو يبرهن حقا على كيفية سيطرة العرب على ثلث المعمورة فى أقل من ربع قرن •

وقال أعضاء المجمع الكنسى : لم يدر بخلد شخص شيء أعجب من أن سبعمائة مليون من المسيحيين المثقفين الأقوياء المجهزين بكل ما يلزم الانسان فى حياته يتقهقرون ويتراجعون أمام أربعين شخصا يقودهم درويش •• وكتب أحد الأطباء فى مستشفى بورسعيد وكان أيرلندى الجنسية فى كتابه فلسفة المجتمعات يقول :

كنت قد سمعت أن الأشياء يمكن أن تتضاعف الى مئات الأضعاف ، فاذا ضوعف مثقال من القمح حسب قواعد التضعيف الموجودة فى خانات الشطرنج ، فانها تحتاج الى ثلاثة آلاف مخزن ، كما تحتاج فى حملها الى ٣٦٠ بعيرا ، أو أن المن (١) التبريزى اذا ضوعف حسب القاعدة الشطرنجية المذكورة فان الناتج يكون ٧٢٧ر٠٨٩ ضروارا (وزن ايرانى يساوى سدس طن) وهو يساوى مجموع محصول القمح فى العالم كله ، ويحتاج فى حمله الى جميع الطرق الحديدية ، وسفن العالم كلها • نعم قد سمعنا عن هذه القاعدة التصاعدية ولكننا لم نجدها أكثر من هذه النسبة التصاعدية التى نتجت فى مصر ، فان رجلا ••• جاء اليها ثم انضم اليه واحد هو الشيخ محمد عبده ، ثم استطاع أن يكون حزبا بلغ عدده فى خلال تسعة أشهر ١٨٠ر٢٠ عضوا ، وأصبح يملك رأس مال كبير فى المصاريف ، وأصاب المصالح الأوروبية بأضرار عجيبة ، ولو ظل هذا الحزب يتوسع بهذه الطريقة فانه سيشمل جميع سكان العالم بناء على هذه النسبة التصاعدية •

---

(١) نوع من الصنج يوزن به في ايران •

وكتب رئيس شركة انجليزية الى أحد الصيارفة فى لندن يقول له :

أخى العزيز ان تغلب السياسة الأوروبية اليوم فى مصر بهذهالصورة ستغلب غدا فى العالم كله ، فقد تقهقرت امام جماعة لا يملكون الا بساطة العيش ، والمثابرة فى العمل ، وحب النوع (البشرى) .

وكتب أحد الضباط البريطانيين الى قرينته يقول :

زوجتى العزيزة : ان المجتمع الاسلامى تسوده نهضة وثابة ، تجعل الانسان يعتقد أن الدول الأوروبية يجب أن تنفض يدها مما تحت أيديها ، من المستعمرات ، ويجب على الشعب البريطانى أن يجد له مأوى فى مناطق القطب الشمالية ، أو الجنوبية .

وكان لهذه الأقوال جميعها أثر فى نفوس أفراد الشعب البريطانى، فأيقنوا أن بقاء الحزب الوطنى المصرى فيه قضاء عليهم، فسارعوا بتنبيه حكومتهم الى ضرورة القضاء على الحزب الوطنى المصرى ، والتنكيل برئيسه ، قبل أن يستفحل شره ، ولذلك دبر الانجليز نسج المؤامرات لنفى جمال الدين الأفغانى ثم محمد عبده من مصر ، وتخريب الحزب الوطنى ، ووقع ما دبره الانجليز ، كما وقع القبض على كثير من أعضاء الحزب الوطنى ، ووظفوا بعضهم فى دواوين الحكومة بمرتبات ضخمة، وقضى الحزب الوطنى نحبه ، وكان عمره لا يزيد على تسعة أشهر وبضعة أيام وأخذ الأوروبيون يتنبهون بعد ذلك حتى لا تقوم فى البلاد الاسلامية نهضات كهذه .

« منهج مدرسة السيد فى مصر »

وضع « جمال الدين الأفغانى » لمدرسته فى مصر منهجا ذا شعبتين :

الأولى : اشتملت على دروس علمية منظمة ، يلقيها فى بيته على زواره من الأفاضل والمثقفين .

والثانية : دراسات شعبية وتدريبات حرة لشباب البلاد ، وصارت الشعبة الثانية أكبر أثرا وأعم نفعا ألقى فيها الأحاديث على عامة الناس، بأسلوب يوافق عقليتهم ، ويثير مشاعرهم .

ومن أمثلة ذلك قوله يخاطب الفلاح المصرى : « عجبت لك أيها الفلاح ! تشق الأرض بفأسك باحثا عن رزقك . لماذا لا تشق بهذا الفأس صدور ظالميك ؟ » وكما قال السيد جمال الدين فى خطابه : « أنظروا أهرام

مصر ، « وهياكل منفيس » ، وآثار «طيبة» ، ومشاهد « سيوه » ، وحصون « دمياط » ، فهى شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم • هبوا من غفلتكم ! اصحوا من سكرتكم ! عيشوا كباقى الأمم أحرارا سعداء » (١) .

ومما لا ينسى أن « السيد جمـال الدين » طول اقامته فى مصر كان يقوم بتعليم المسلمين وارشادهم ، وينفخ فى نفوس الناس روح الانسانية والكرامة • ورغم هذا كان علماء الدين الرجعيون فى عصره ينقمون عليه ، لأنهم كانوا يستغلون جهل العامة وسذاجتهم فى منفعتهم الشخصية ، فثاروا عليه ، وقالوا أنه يقوم بتدريس فلسفة « ابن سينا » ، ويحضر الكرة الأرضية الى المسجد ، لكنهم لم يستطيعوا أن ينجحوا فى مقاومته • وأن يمحوا ما بذره السيد من الآراء والأفكار الغالية • رحمة الله عليه ، وعلى من معه ، ومن يتبع منهاجه •

« أهم أسباب الخلاف الذى صادف « جمال الدين » فى مصر ومنشأ فراره منها »

أهم أسباب الخلاف الذى صادف « جمال الدين » فى مصر هو كما يقولون ان السيد « جمال الدين » فى عصره كان أكثر غيرة من المصريين على حقوقهم وكرامتهم ، والحق أنه أحس احساسا قويا كيف أن الانجليز أجمعوا أمرهم لوضع أيديهم على مصر ، لأنه عرف أساليبهم وعرف كثيرا من حيلهم فى اثارة الفتن والحروب الداخليـــة ، لأجل هذا حـاول ايقاظ المصريين ، الا أن الأصابع الاســتعمارية لعبت وراء خططه فاتهمته بأنه ملحد ، وأنه كذا وكذا ، وأن أتباعه يريدون كذا وكذا . حتى أن قنصل انجلترا سعى بينه وبين الخديو وأفهمت انجلترا الخديو توفيق أنه لا مفر من طرد السيد « جمال الدين » ، لأنه يدبر أمرا على خلافه ، وعلى الاتجاه بمصر نحو النظام الجمهورى فلأجل ذلك بينما كان الافغانى عائدا الى داره ذات ليلة من أحد مجالسه المعروفة ، وقد فارقه أصدقاؤه ، أخذه رجال الشرطة واقتــادوه الى دارهم ، ثم حملوه الى محطة الســكة الحديدية ، وأركبوه القطار الى السويس وكان رياض باشا رئيس الوزراء فى الخارج غائبا عن مصر عندما وقعت تلك الحادثة لجمال الدين ؛ اذ لو كان موجودا

(١) ص (٧٣) من كتاب زعماء الاصلاح في العصر الحديث للاستاذ «أحمد أمين» .

لبذل جهدا فى عدم طرده (١) ، ويقال ان قنصل ايران فى هذه المدينة لقيه ، وعلم منه أنه فى طريقه الى الهند ، فعرض عليه مائة دينار لأنه كان ماسونيا مثله ، فأبى السيد « جمال الدين الافغانى » أن يأخذها ، مع أنه كان لا يملك شيئا من المال • وقال كلمته المأثورة : « احتفظوا بالمال فأنتم أحوج اليه ، ان الليث لا يعدم فريسته حيثما ذهب » •

وكان خروجه من مصر فى أواسط شهر رمضان سنة ١٢٩٦ هـ أى بعد ثلاثة أشهر من تولى الخديو توفيق للعرش ، وأظهر توفيق سروره بما فعل ، والزمت الجرائد بنشر الأمر الصادر بالنفى ، وما أشتمل عليه من التقريع الشديد والتشنيع الجارح،على من كانوا يجتمعون معه ، فنشرت الجرائد ، وأبت احدى الجرائد نشره فعطلت ، وكان فى المنشور الذى أصدر لهذه المناسبة العبارة التالية : « أبعد ذلك الشخص المفسد من الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ، لازالة هذا الفساد من هذه البلاد عبرة للمعتبرين ، ولمن يتجاسر على مثل هذا من المفسدين ، البادى من أفعالهم الظاهرة أنهم لا خلاق لهم فى الدنيا والآخرة » • وكتب أحد الأساتذة من المصريين : أن « جمال الدين » قد غادر مصر بعد أن بذر فيها بذرة الثورة ، وبعد أن وضع وحدد المبادىء التى يجب أن يسير عليها المصريون من بعده • لكن الجهد والدسائس الأجنبية فوتت على مصر كثيرا من الخير ، الذى كان يرجى لها ، ولو أنه شهد ما وصلت اليه بلاد الشرق وبخاصة مصر فى وقتنا الحاضر لعلم أنه وحده هو باعث النهضة ، وأن جهاده لم يذهب عبثا •

« ذهاب السيد جمال الدين الى الهند مرة ثالثة واقامته هناك »

غادر السيد جمال الدين الافغانى ميناء السويس فى (٢٢ أغسطس سنة ١٨٧٩ ميلادية) على سفينة كانت وجهتها الى « بومبائى » وقد أقام الافغانى أولا فى « حيدر آباد الدكن » حيث حددت اقامته ، ولم يسمح له أن يقوم بعمل ما غير القراءة أو زيارة بعض الخواص • فلما شبت ثورة

(١) ص (٣٨) لعثمان أمين من سلسلة أعلام الاسلام .

« أحمد عرابى » (١) فى مصر نقلته الحكومة الهندية الى كلكتا فأقام فيها حتى انتهت الثورة العرابية ٠

« مجاهدات السيد فى الهند ورده على الدهريين »

لا شك أن السنوات الثلاث التى قضاها السيد فى الهند لم تضع عبثا ، اذ قد ألف فى أثناء وجوده « بحيدر آباد » رسالته المشهورة التى تعرف باسم « رسالة الرد على الدهريين » وهى التى نقلها الاستاذ « محمد عبده » من اللغة الفارسية الى العربية ، بمساعدة أبى تراب ، تابع جمال الدين الافغانى ٠ والسبب فى كتابة رسالة الرد على الدهريين هو كما ذكر فى « العروة الوثقى » أن الانجليز أرادوا أن يقضوا على خصائص القومية الهندية لدى المسلمين فى بلاد الهند ، ورغبوا فى صرفهم عن الحضارة والثقافة الاسلاميتين ، لكى يتحقق لهم هدفهم الاستعمارى ، وهو استقرار الحكم الانجليزى الى ما شاء الله ، كما أن الاستعمار بشر فى أول الامر بالدين المسيحى ، لكن هذه الحركة لم تنجح ، وألف المبشرون من أذناب الانجليز رسائل فى الطعن فى الدين الاسلامى ، لكن لم يحصل منها أيضا ما يريد الانجليز ، وعملت أيادى الاستعمار أساليب المشقة على المسلمين، ومنعوهم من الوظائف العامة ، ووضع أيديهم على أوقافهم التى كانت مخصصة للمساجد والمدارس ، ولكنهم فشلوا فيما كانوا يهدفون اليه ٠

ثم بدأ الانجليز يتخذون سبلا ملتوية تنتهى بهم الى ما يريدون ، فنشروا الافكار الالحادية فى ثوب العلم الحديث ٠

وكتب « جمال الدين الافغانى » فى مجلة « العروة الوثقى » أن أكبر دعاة هذا المذهب كان أحد مسلمى الهند ، وهو « سيد أحمد خان بهادور» وكان هو أحد الذين أرادوا أن يصيبوا نفعا خسيسا بمساعدة الانجليز لهم على تحقيق أهدافهم ، فقدم نفسه لخدمتهم ، وبدأ بأن ألف كتابا يبرهن فيه على أن التوراة والانجيل لم يحرفا ، غير أنه ما لبث أن أدرك أنه لن يفيد أولياء نعمته شيئا بالطعن فى الاسلام ، اذ سبقه المستشرقون الى ذلك دون جدوى ، كما أن اعتناقه للدين المسيحى لن يكون ذا خطر ، اذ رأى أنه لن يتبعه أحد من مسلمى الهند ، ولذلك أخذ يظهر مبادىء

---

(١) كان أحمد عرابى قائدا عسكريا من تلاميذ جمال الدين الافغانى وأنه ثار فى وجه الخديو « توفيق » وأعجب بمحاضرات السيد وتلقيناته لاصلاح الشعب المصرى للمطالبة بالحقوق العامة للشعب ٠

الفلسفة الجديدة وهو المذهب الطبيعي والالحاد ، وطفق يدعو اليه فتبعه بعض المسلمين تخلصا من واجبات الشرع ، وجريا وراء الشهوات ، ووجد الانجليز أن صاحبهم قد بدأ ينجح في التفرقة بين المسلمين ، فكرموه وساعدوه على فتح المدرسة التي ظنوا أنها ستكون أفضل وسيلة لاصطياد أولاد المسلمين لتربيتهم على الالحاد ، وعلى كل حال قد انتشر الالحاد في بلاد الهند • وبناء على ذلك بعث الاستاذ « مولوى محمد واصل »المدرس بمدرسة الفنون « بحيدر آباد » خطابا الى السيد جمال الدين الافغاني في (١٩ محرم سنة ١٢٩٨ هـ ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ م) هذا نصه (بعد رسوم المخاطبة) يقرع آذاننا في هذه الايام صوت نيتشر •• نيتشر وانه ليصل الينا من جميع الاقطار الهندية ، فمن الممالك الغربية والشمالية و (أودة) و (بنجاب) و (بنجالة) و (السند) (حيدر آباد الدكن) ، ولا تخلو بلدة أو قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب ، وينمو عددهم على امتداد الزمان ، خصوصا بين المسلمين ، ولقد سألت أكثر من لاقيت من هذه الطائفة ما حقيقة النيتشرية ؟ وفي أي وقت كان ظهور النيتشريين ؟ وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا أن تقوم عماد المدنية ولا تعدو هذا المقصد ؟ أولها مقاصد أخرى ؟ وهل طريقتهم تنافي أصول الدين المطلق ؟ أو هي لا تعارضه بوجه ما ؟ وأي نسبة بين آثار هذا المشرب ، آثار مطلق الدين في عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية؟ فان كانت هذه الطريقة من النحل القديمة فلم لم تنتشر بيننا ؟ ولم لم تعهد لها دعاة الا في هذه الاوقات ؟ وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها ؟ وأي أثر يكون عن الاخذ بها ؟ ولما لم يفدني أحد عما سألت بجواب شاف كاف ، فاني ألتمس من جنابكم العالي أن تشرحوا حقيقة النيتشرية والنيتشريين بتفصيل ينقع الغلة ويشفي العلة والسلام .

« جواب السيد جمال الدين ورده على الدهريين »

لما كانت اجابة السيد على الرسالة السابقة تشتمل على أهم الاستدلالات في الرد على الدهريين ، فاني أريد أن أذكر نصوص السيد في هذا المجال ، لكي نفهم درجة علمه وفهمه ، ونستفيد من أفكاره ، واليك هذه الاجابة :

النيتشر اسم للطبيعة ، وطريقة النيتشر هي تلك الطريقة الدهرية ، التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ،

ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان،ووضع أساس الاباحة والاشتراك في الأموال والأبضاع بين النـاس عامة ، وقد كدحوا لاجراء مقصدهم هذا ، وبالغوا فى السعى اليه ، وتلونوا لذلك فى ألوان مختلفة ، وتقلبوا فى مظاهر متعددة ، وكيفما وجـدوا فى أمة أفسـدوا أخلاقها ، وعاد عليهم سعيهم بالزوال ، وأيما ذاهب ذهب فى غور مقاصـد الآخذين بهذه الطريقة ، تجلى له أن لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية ، وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية ؛ اذ لا ريب فى أن الدين مطلقا هو سلك النظام الاجتماعى ، ولن يستحكم أساس للتمدن بدون الدين البتة ، وأول تعاليم هذه الطائفة اعـدام الأديان ، وطرح كل اعتقاد دينى ، وأما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سالكيها مع طول الزمن على نشأتها ، فسببه أن نظام الألفة الانسانية وهو من آثار الحكمة الالهية السامية كانت له الغلبة على أصولها الواهيـة ، وشريعتها الفاسـدة ، وبهذا السر الالهى انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ، ومن هذا لم يبق لهم ثبات قدم ، ولم تقم لهم قائمة أمر وفى وقت من الأوقات •ولتفصيل ما ذكرنا نتقدم لانشاء رسالة صغيرة أرجو أن تكون مقبولة عند العقل الغريزى ، لذلك الصديق الفاضل ، وأن تنال من ذوى العقول الصافية نظرة الاعتبار • وقد كتب السيد فى رسالته بعد الخطبة وبعد بحث المقدمات ما يأتى : « أثبت ثقات المؤرخين أن حكماء اليونان انقسموا فى القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين (١) : ذهبت احداهمـا الى وجود ذات مجـردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات فى لوازمها ، منزهة من لواحق الجسمانية وعوارضها ، وأثبتت أن سلسلة الموجودات مادية ومجردة ، تنتهى الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه ، مبرأ الذات عن التأليف والتركيب ، ومحال عند العقل تصور التركيب فيه ، وجوده عين حقيقته ، وحقيقته عين وجوده ، وهو المصدر الاول والموجود الحقيقى ، والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت أو مادية• واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين (الخاضعين لله) ومنهم «فيثاغورث» و «سوقراط» و «افلاطون» و «أرسطو» ومن أهل مذهبهم كثير ،وذهبت أخرى الطائفتين الى نفى كل موجود سـوى المادة والماديات ، وان وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس ، لا يتناول شيئا وراءه ، وعرفت هذه الطائفة بالماديين : ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف فى صور

---

(١) المعروف أن أكثر هؤلاء الحكماء كانوا يعيشون فى القرنين السادس والسابع قبـل المسيح • أنظر حياة هؤلاء الفلاسفة فى ج ـ ١ ـ كتاب الفلسفة الافريقيـة تأليف الدكتور محمد غلاب •

المواد وخواصها ، والتنوع الواقع فى آثارها ، نسبه الأقدمون منهم الى طبيعتها ، واسم الطبيعة فى اللغة الفرنسية «ناتور» Nature وفى الانجليزية «نيتشر» ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين وعند الفرنساويين باسم « نتوراليست » أو « ماتيرياليست » الاول من حيث هى طبيعية والثانى من حيث هى مادية، ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا فى تكوين الكواكب ، وتصوير الحيوانات ، وانشاء النباتات ، فذهب فريق منهم الى وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى ، انما هو من الاتفاق واحكام المصادفة ، وعلى ذلك فان اتفاق بنائها ، واحكام نظامها لا منشأ له الا المصادفة ، كأنما أدت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح ، وقد أحالته بداهة العقل .

ورأس القائلين بهذا القول : (ديمقراطيس) وهو يرى أن العالم أجمع ارضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار وصلبة متحركة بالطبع ، ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الأجسام وهيئاتها بقضاء العماية المطلقة ، وذهب فريق آخر الى أن الأجرام السماوية والكرة الأرضية كانت على هيئاتها هذه أزل الأزل ولا تزال ، ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات. وزعموا أن فى كل بذرة نباتا مندمجا فيها ، وفى كل نبات بذرة كامنة ، ثم فى هذه البذرة الكامنة نبات وفيه بذرة الى غير نهاية ، وعلى هذا زعموا أن فى كل جرثومة جرثومة أخرى يذهب كذلك الى غير نهاية . وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية فى مقدار متناه وهو من المحالات الاولية .

وزعم فريق ثالث أن سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما أن الأجرام العلوية وهيئاتها ، قديمة بالشخص ، ولكن لا شىء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبذور النباتية بقديم ، وانما كل جرثومة وبذرة هى بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبذرة أخرى ، وفاتتهم ملاحظة أن كثيرا من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة ، كذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها او زائدها (١) .

ومال جماعة منهم الى الابهام فى البيان ، فقالوا : ان أنواع النباتات والحيوانات تقلبت فى أطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكر الدهور ، حتى وصلت الى هيآتها وصورها المشهودة لنا . وأول

(١) لكن يرد على هذا الجواب : أن النقصان فى البعض والكمال فى البعض الآخر يمكن أن يكون بواسطة الشرائط الخارجية ، لا من نفس الجرثومة والبذرة التى بمنزلة القالب يتكون فيه ما يشاكله (*) =

النازعين الى هذا الرأى « ايبيقور » (١) أحد اتباع « ديوجينس الكلبى » ومن مزاعمه : أن الانسان فى بعض أطواره كان مثل الخنزير ، مستور البشرة بالشعر الكثيف ، ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم . ولم يقم دليلا ولم يستند على برهان فيما زعمه من أن مرور الزمان علة تبدل الصور وترقى الأنواع .

ولما كشف علم الجيولوجيا (طبقات الارض) عن بطلان القول بقدم الانواع ، رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا فى بحثين :

الاول بحث تكون الجراثيم النباتية والحيوانية ، فذهبت جماعة الى أن جميع الجراثيم على اختلاف أنواعها ، تكونت عندما أخذ التهاب الارض فى التناقص ، ثم انقطع التكون بانقضاء ذلك الطور الأرضى .

وذهبت أخرى الى أن الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصا فى خط الاستواء حيث تشتد الحرارة . وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم : حياة نباتية او حيوانية خصوصا بعد ما تبين لهم أن الحياة فاعل فى بسائط الجراثيم ، موجب لالتئامها ، حافظ لكونها ، وأن قوتها الغذائية هى التى تجعل غير الحى من الأجزاء حيا بالتغذية ، فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال .

وظن قوم منهم أن تلك الجراثيم كانت مع الأرض عند انفصالها عن كرة الشمس ، وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم ، من أن الأرض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة . وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تمح صورها فى تلك النيران المستعرة ؟

والبحث الثانى من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصانها الى ذروة كمالها ، وتحولها من حالة الخداج « النقص » الى مانراه

= (*) الحق فى الجواب أن يسال من أين حصل ذلك الاستعداد فى الجرثومة والبذرة ؟ فاذن لايصح أن يقال حصل من الجرثومة والبذرة لان للسائل أن يسأل : ان الجرثومة والبذرة من علة ايجادها ؟ فحينئذ لايمكن أن يقال : علة الجرثومة والبذرة نفسها ، لانه يلزم أن يكون الشيء علة لنفسه . فنضطر الى القول بالعلة الخارجية ، وهذه العلة الخارجية ينتهى السير في تعقلها الى القول بذات واجب الوجود .. هو الله تعالى . «سعيد أفغانى»

(١) ولد ايبيقور سنة ٣٢١ قبل الميلاد وتوفي سنة ٢٧٠ قبل الميلاد .

من الصور المتقنة ، والهيئات المحكمة والبنى الكاملة · فمنهم قائل بأن لكل نوع جرثومة خاصة به ، ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها فى الاطوار الحيوية ، وتجذب اليها ما يلائمها من الأجزاء غير الحية ، ليصير جزءا لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه·· وقد غفلوا عما أثبته التحليل الكيماوى من عدم التفاوت بين نطفة الانسان، ونطفة الثور ، والحمار مثلا، وظهور تماثل النطف فى العناصر البسيطة · فما منشأ التخالف فى طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها ؟

ومنهم من قد ذهب الى أن جراثيم الأنواع كافة خصوصا الحيوانية متماثلة فى الجوهر متساوية فى الحقيقة ، وليس بين الانواع تخالف جوهرى ولا انفصال ذاتي ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية أخرى ، بمقتضى الزمان والمكان ، وحكم الحاجات والضروريات وقضاء سلطان القواسر الخارجية .

ورأس القائلين بهذا القول « داروين » وقد ألف كتابا فى بيان : أن الأنسان كان قردا ·· ثم عرض له التنقيح والتهذيب فى صورته حتى ارتقى الى برزخ (أوران أوتان) ثم ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب الانسان ، فكان صنف اليميم وسائر الزنوج ، ومن هناك عرج بعض أفراده الى أفق اعلى وأرفع من أفق الزنجيين فكان الانسان القوقازى · وعلى زعم « داروين » هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور الزمان وكر الدهور ، وأن ينقلب الفيل برغوثا كذلك ، فان سئل « داروين » عن الأشجار القائمة على غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من أزمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظنا ، وأصولها تضرب فى بقعة واحدة ، وفروعها تذهب فى هواء واحد ، وعروقها تسقى بماء واحد ، فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر فى بنيته ، وشكل أوراقه ، وطوله وقصره ، وضخامته، ورقته ، وزهره ، وثمره ، وطعمه ورائحته ، وعمره ، فأى فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟ أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه !!

وان قيل له : هذه أسماك بحيرة « أورال » وبحر « كسبين » مع تشاركها فى المأكل والمشرب ، وتسابقها فى ميدان واحد ، نرى فيها اختلافا نوعيا ، وتباينا بعيدا ، فى الألوان والأشكال والأعمال ، فما السبب فى هـذا التباين والتفاوت ؟ لا اراه يلجأ فى الجواب الا الى الحصر . (وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص وهى تعيش فى منطقة واحدة ، ولا تسلم حياتها فى

سائر المناطق ، أو الحشرات المتباينة فى الخلقة المتباعدة التركيب المتولدة فى بقعة واحدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى « تربة » تخالف تربتها ، فماذا تكون حجته فى علة اختلافها كأنها تكون كسفا لاكشفا ؟ بل اذا قيل له : أى هاد هدى تلك الجراثيم فى نقصها وخداجها ؟ وأى مرشد أرشدها الى استتمام هذه الجوارح والأعضاء الظاهرة والباطنة ، ووضعها على مقتضى الحكمة وابداع كل منها قوة على حسبه ، ونوطها بكل قوة فى عضو أداء وظيفة وايفاء عمل حيوى مما عجز الحكماء عن درك سره ، ووقف علماء الفسيولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهاديا خبيرا لطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية ؟ لا ريب أنه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين أمواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى أبد الآبدين » .

ثم كتب السيد « جمال الدين الأفغاني » ما يأتى : « ومن واهيات ما كان يرويه « داروين » من أن جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا أذناب كأنه يقول : حيث لم تعد للذنب حاجة فكفت الطبيعة عن هبته . وهل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب ، وما يجرونه من الختان الوفا من السنين ، ولا يولد مولود حتى يختن ، والى الآن لم يولد واحد منهم مختونا الا لاعجاز . ولما ظهر لجماعة من متأخرى الماديين فساد ما تمسك به أسلافهم ، نبذوا آراءهم وأخذوا طريقا جديدة فقالوا : ليس من الممكن أن تكون المادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة ، والأشكال المعجبة والصور الانيقة وغير ذلك ، مما خفى سره وظهر أثره ، ولكن العلة فى نظام الكون علوية وسفلية ، والموجب لاختلاف الصور والمقدر لأشكالها وأطوارها وما يلزم لبقائها : تتركب من ثلاثة أشياء : (متير) و (قورس) و (انتليجانس) أى مادة وقوة وادراك وظنوا أن المادة بمالها من القوة ، وما يلابسها من الادراك ، تجلت وتتجلى بهذه الاشكال والهيئات ، وعندما تظهر بصورة الأجساد الحية نباتية كانت أو حيوانية تراعى بما لابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص ، وحفظ النوع ، فتنشىء لها من الأعضاء والآلات ما يفى بأداء الوظائف الشخصية والنوعية ، مع الالتفات الى الأزمنة والامكنة والفصول السنوية . هذا أنفس ما وجدوا من حيلة لمذهبهم العاطل بعد مادخلوا ألف جحر ، وخرجوا من ألف نفق ، وما هو بأقرب الى العقل من سائر أوهامهم ، ولا هو بالمنطبق على

سائر أحوالهم ، فانهم يرون كسائر المتأخرين أن الأجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيسية ، ولا ينطبق رأيهم الجديد فى علة النظام الكونى على رأيهم فى تركيب الأجسام ، وذلك لأنه يلزم على القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيسى شعور خاص ، كما يلزم أن تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الاجزاء ، اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين ، فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء .

وبعد هذا فانى أسألهم ، كيف اطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء ؟ وبأية آلة أفهم كل منها باقيها ما ينويه من مطلبه؟ وأى برلمان (مجلس الشورى) أو أى سنات (مجلس الشيوخ) عقدت للتشاور فى ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف ؟ وأنى لهذه الاجزاء أن تعلم وهى فى بيضة العصفور ضرورة ظهورها فى هيئة الطير يأكل الحبوب ، فمن الواجب أن يكون له منقار وحوصلة ، لحاجته فى حياته اليها ، واذا كانت فى بيض الشاهين والعقاب فمن أين لها العلم بأنها تقوم طيرا يأكل اللحوم ، فلابد له من منسر ومخلب يصول بهما فى الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ، ثم ينسر لحمه ليأكله ، ومن اين لها أن تعسلم وهى فى مشيمة الكلبة أنها ستكون على صورة أنثى الجرو ، ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ، ثم تكون حبلى لوقت من الاوقات وقد تلد جراء « متعددة » فى زمن واحد ، فهى تهيىء لطيبها حلمات كثيرة على حسب حاجة جرائها . ومن لهذه الاجزاء المتبددة أن تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الأعضاء والجوارح ؟

لو عقلت هذه الطائفة ما رمى اليه سؤالى هذا لارتكست فى أفكارها ، وانقلبت الى تهور من الحيرة لا ترفع منه رأسا ، ولا تحير جوابا الى أن يتخبطهم شيطان الجهل فيقولون ولا يعون : « ان لكل جزء من هذه الاجزاء الديمقراطيسية علما بجميع ما كان وما يكون ، وبجميع ما فى العالم من الأجزاء — علويا كان أو سفليا — ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون ، واركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريده من المصلحة ، حتى لا يقع الخلل فى شىء من نظام العالم عاما كان أو خاصا ، وبهذا قام العالم على ناموس واحد » . فان أفضت بهم العماية الى هذا القول قلنا :

أولا : يلزمهم أن كل جزء ديمقراطيسى يحتوى على أبعاد غير متناهية ، وهو فى صغره لا يدرك ولا بالميكروسكوب « النظارة المعظمة » وبيان

اللزوم أن العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة فى ذات العالم ، وهو مادى فى موضوعنا فكل صورة معلومة تأخذ منه بعدا بمقدارها ، والصورة العلمية على هذا الزعم غير متناهية ، وكلها يرتسم فى مادة الجزء ، فيكون فى كل جزء وهو متناه الى غاية الصغر أبعاد غير متناهية للصور غير المتناهية ، وهذا مما تبطله بداهة العقل .

ثانيا : ان كانت الأجزاء الديمقراطيسية بالغة من العلم هذا المبلغ، وهى من القوة على نحوه ، اذ لا قوة الا بها على رأيهم ، فلماذا لم تبلغ الكائنات وهى هى بنفسها غاية ما يمكن لها من الكمال ؟ ولم تنزل بذواتها الآلام والاوصاب ثم تعانى العناء فى احتمالها أو التخلص منها ؟ ولماذا قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات ــ وهو عين ادراك هذه الأجزاء ــ على هذا المذهب عن اكتناه حال أنفسها وعجز عن حفظ حياتها ؟

وأعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعد ما صافحوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا (١) الى الحيرة فى بعض الامور فلم يستطيعوا تطبيقها على أصل من أصولهم الفاسدة : لا أصل الطبع ولا أصل الشعور ، وذلك عندما رأوا شيئين يختلفان فى الخواص وعناصرهما تظهر عند التحليل متماثلة ، ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ماقدموا من الترهات الا بالحكم على الأجزاء الديمقراطيسية رجما بالغيب بأنها ذوات أشكال مختلفة ، وعلى حسب الاختلاف فى الاشكال والاوضاع كان الاختلاف فى الآثار والخواص . وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكرو الالوهية الزاعمون أن لا وجود للصانع الاقدس ، وهم المعروفون بين شيعهم أو عند الالهيين بالطبيعيين والماديين والدهريين وان شئت قلت : نيتشريين وناتور اليسميين وماتير اليسميين » (٢) .

ذكر الاستاذ « صلاح الدين » السلجوقى فى مقدمة على كتاب الرد على الدهريين (٣) عشرة أصناف من الدهريين الذين رد السيد جمال الدين الافغانى عليهم :

الأيبيقوريون

الارتقائيون

---

(١) حاص عنه : عدل وحاد وبابه باع ويقال «مابعنه محيص» أى محيد ومهرب .

(٢) من كتاب الرد على الدهريين ص ٣٤ ــ ٤٩ مكتبة العقائد ــ الناشر دار الكرنك .

(٣) ص ١٧ ــ ١٨ .

المزدكيون
الشيوعيون
الباطنيون
أتباع فولتير وجان جاك روسو
الحكام المنحرفون فى الدولة العثمانية
النفعيون
مورومون
الخونة والمدلسون والمرتشون والمراءون فى الشرق .

يظهر من هذا أن السيد جمال الدين له دقة العلم والفلسفة وأنه وصل من طريق الاستدلال الى ابطال مذاهب الدهريين ومزاعمهم كما يثبت أن السيد جمال الدين موحد وعقيدته لا كعقيدة توحيد المقلدين بل كعقيدة الفلاسفة المتقنين وأنه يعرف مسألة عقيدة التوحيد التى جاءت فى الاسلام حق المعرفة وأنه درس دين الاسلام وسائر الأديان والمذاهب والمسالك درسا دقيقا .

« ما افاد الدين من العقائد والخصال »

ثم كتب السيد جمال الدين الافغانى فى رسالته الموسومة بـ « الرد على الدهريين » ما يأتى :

اكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد ، وأودع نفوسهم ثلاث خصال ، كل منها ركن لوجود الامم ، وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية ، وأساس محكم لمدنيتها ، وفى كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال ، والرقى الى ذروة السعادة ، وفى كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس عن الشر ، ويردها عن مقارفة الفساد ، ويصدها عن مقاربة ما يبيدها ويبددها .

العقيدة الأولى : التصديق بأن الانسان ملك أرضى وهو أشرف المخلوقات .

العقيدة الثانية : يقين كل ذى دين بأن أمته أشرف الأمم ، وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل .

العقيدة الثالثة : جزمه بأن الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى ، والانتقال به من دار ضيقة المساحات ، كثيرة المكروهات جديرة بأن تسمى (بيت الأحزان) وقرار الآلام ، الى دار فسيحة المساحات ، خالية من المؤلمات ، لا تنقضى سعادتها ولا تنتهى مدتها .
ولا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة فى الاجتماع البشرى ، والمنافع الجمة للمدنية الصحيحة ، وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم ، وما لكل واحدة من الدخل فى بقاء النوع والميل بأفراده ، لأن يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والموادعة، والأخذ بهمم الأمم للصعود فى مراقى الكمال النفسى والعقلى . ثم بعد هذا يذكر السيد جمال الدين الأفغانى لكل عقيدة لوازم وخواص ويشرحها شرحا وافيا .

« الخصال الثلاث »

وأما الخصال الثلاث التى توارثتها الأمم من تاريخ قد لا يحد قدما وانما طبعها فى نفوسهم طابع الدين .

فاحداها : خصلة (الحياء) : وهو انفعال النفس من اتيان ما يجلب اللائمة ، وينحى عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصا . ويذكر لهذه الخصلة تأثيرها وضرورة الاجماع بالحفظ عليها .

والخصلة الثانية (الأمانة) : ومن المعلوم الجلى أن بقاء النوع الأنسانى قائم بالمعاملات ، والمعارضات فى منافع الأعمال ، وروح المعاملة والمعارضة انما هى الامانة ، فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة ، وانبترت حبال المعارضة ، فاختل نظام المعيشة ، وأفضى ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل . وبعد هذا ذكر السيد احتياج المجتمعات لخصلة الأمانة فقال : فقد كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الانسان ، ومستقر أساس الحكومات ، وباسط ظلال الامن والراحة ،ورافع أبنية العز والسلطان ، وروح العدالة وجسدها ، ولا يكون شىء من ذلك بدونها .

الخصلة الثالثة (الصدق) : وقد شرح السيد الضرورة لهذه الخصلة أكمل الشرح . وقد كتب بعد هذا : هؤلاء جحدة الألوهية فى أى أمة وبأى لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل ، قصر السعادة الانسانية القائم بستة

جدران ، ثلاث عقائد ، وثلاث خصال . أعاصير أفكارهم تدك هذا البناء الرفيع ، وتلقى بهذا النوع الضعيف الى عراء الشــقاء ، وتهبط من عرش المدنية الانسانية الى أرض الوحشة الحيوانية . (١)

« بيان مظاهر الماديين ومقاصــدهم والمفاسد التى جلبها « الماديون » على نظام المدنية »

ذكر السيد جمال الدين الأفغانى فى رسالته (الرد على الدهريين) المفاســد التى جلبها « الماديون » على نظام المدنيــة ومظــاهر الماديين ومقاصدهم . بهذا النص : تخالف مظاهر الماديين فى الأمم والاجيال المختلفة فتخالفت أسماؤهم ، فكانوا تارة يسمون أنفســهم بســمات الحكماء وينتحلون « الحكيم » لقبا لأفرادهم ، واحيانا كانوا يتسمون بسيما (دافع الظلم ورافع الجور) . وكثيرا ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عراف الأسرار وكشفة الحقائق والرموز ، والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ، ومن كل بارز الى كامنه ، وقد كانوا يظهرون فى أوقات بدعوى السعى فى تطهير الأذهان من الخرافات ، وتنوير العقول بحقائق المعلومات ، وتارة يتمثلون فى صور محبى الفقراء ، وحمــاة الضعفاء ، وطلاب خير المساكين . وكثيرا ما تجرءوا على دعــوة النبوة ولكن لاعلى سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلا لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم . كيفما ظهر الماديون وفى أى صورة تمثلوا وبين أى قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصاعقة مجتاحة لثمار أممهم ، وصدعا متفاقما فى بنية جيلهم ، يميتون القلوب الحية بأقوالهم ، وينفثون السم فى الأرواح بآرائهم ، ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم . فما رزئت بهم أمة ولا منى بشرهم جيل الا انتكث فتله ، وسقط عرشه ، وتبددت آحاد الأمة ، وفقدت قوام وجودها .

ثم ذكر السيد جمال الدين الأفغانى حال اليونان ، والأمة الفارسية، والشعب الفرنسى ، والأمة العثمانية ، قبل ظهور الماديين والدهريين فيهم ، وعروجهم وحالهم بعد ظهور الماديين والدهريين فيهم ونزولهم .

(١) من كتاب الرد على الدهريين ص ـ ٥١ ـ ٦٢ . مكتبة العقائد ـ الناشر دار الكرنك .

ويكتب السيد تحت عنوان (حال الأمة الاسـلامية) : الامة الاسلامية جاءتها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها بتلك العقائد الجليلة ، ومكنت فى نفوسها تلك الصفات الفاضلة ،وشمل ذلك آحادهم ، ورسخت بينهم تلك الاصول الستة (١) بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها ، فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على رءوس الأمم من جبال الألب الى جدار الصين فى قرن واحد ، وحثوا تراب المذلة على رءوس الأكاسرة والقياصرة ، مع أنهم لم يكونوا الا شرذمة قليلة العدة نذر العدد ، ولم ينالوا هذه البسطة فى الملك والسطوة فى السلطان الا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة ، هذا الى ما جذبه مغناطيس فضائلهم من مائة مليون دخلوا فى دينهم فى مدة قرن واحد ، من أمم مختلفة ، مع أنهم كانوا يخيرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه . هكذا كان حال هذه الامة الشريفة من العزة ومنعة السلطان .

« دهريو الشرق »

وذكر السيد حال دهريى الشرق فكتب ما يأتى :

أما منكرو الالوهية أعنى الدهريين الذين ظهروا فى لباس المهذبين، ولونوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية ، وزعموا أنفسهم طلاب خير الأمة ، فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ، ثم تجلوا فى أعين الأغبياء حملة لأعلام العلم والمعرفة ، وبسطوا للخيانة بساطا جديدا ، وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة ، مسروقة من أوهام المبطلين ، وفتلوا سبالهم (٢) كبرا وعلوا ، ولقبوا أنفسهم بالهادين والادلاء ، وهم فى أطباق جهل وارتاق غباوة ، وفى أهب دنس الرذائل ، ومسوك (٣) من قذر الذمائم ، فأولئك قوم قوى فيهم الظن بأن العقل وثمرته من المعرفة ينحصران فى تبين وجوه الغدر وتعرف طرق الاختلاس . واننى لفى خجل من ذكرهم ، يدافعنى الحياء عن رواية سيرهم وحكاية أعمالهم ، فان مقاصدهم من الدناءة

---

(١) التى أشار اليها السيد فى مامر .

(٢) السبلة : ما على الشارب من الشعر والجمع السبال .

(٣) المسك بفتح الميم وسكون السين الجلد .

بحيث لا تخرج عن جيوبهم ، يسعون فى اقتلاع أساس أمتهم لشهوة بطونهم ، يحددون شفارهم (١) لتقطيع روابط الالتئام بين بنى جنسهم .

وقد أثرت رسالة « الرد على الدهريين » على آراء المسلمين فى الهند ، حتى أخرج كثير من الناس أبناءهم من المدرسة التى كان الانجليز قد اعدوها لهذا الغرض ، ورجع القوم الى العقيدة السليمة (٢) .

يظهر مما ذكرت من مباحث السيد « جمال الدين الأفغانى » فى « الرد على الدهريين » أن السيد له دقة الفكر وسعة المعلومات ،وقوة التحليل فى المسائل الكلامية والفلسفية العويصة وأنه لا شك أن من يتعمق فى مباحث الرد على الدهريين يقر بأن السيد كان ينظر الى الانسان بنظر الكرامة ، ولا يرضى أن يحط منزلة الانسان الى القرد وهو يطلب من الانسان أن يكون متكئا على المبادىء السامية وأن يعمل بالدساتير الانسانية .

وكذلك يظهر أن المقصود الأعلى عند السيد فى الحياة : الحياء ، والأمانة ، والصدق ، وأنه يسعى بايمانه وبكرامته ودينه لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى ، وأنه يؤمن بأن الاعتقاد بالمبدأ الأقدس والارتباط بالروح ، والأخلاق السامية يرتقيان بالانسان الى مرتبة الملك الذى لا يعمل الشر بل يحب الخير ، ويزيد مافى الحياة من الخيرات ، كما أن العلاج الناجح عنده من المتاعب التى تلحق بالفرد والمجتمع هو تطهير القلب من الرذائل ، وتقويته بالطمأنينة وحسن المعاشرة والسلوك .

« سفر السيد من الهند الى لندن ومنها الى باريس واقامته فيها وغايته من تشكيل جمعية العروة الوثقى ونشر جريدتها وخدماته الاجتماعية والسياسية للعالم الاسلامى »

ولما انتهت الثورة العرابية فى مصر ، واستقر الامر فيها للانجليز، سمحوا « لجمال الدين » أن يسافر من «كلكتا» ــ لوشاء ــ لكن على الا يتجه الى أى بلد إسلامى آخر ، اذ كانوا يخشون أن يفسد عليهم

---

(١) الشفرة : السكين العريض .

(٢) من كتاب الرد على الدهريين ص ٤٩ ــ ٥٠ .

خططهم فى الشرق الأوسط . فرغب السيد فى السفر الى أوروبا ، واتجه الى انجلترا فى أواخر سنة ١٨٨٢ م ، قصعد الى لندن لكن لم تطل بها فترة اقامته ، ثم هبط منها الى باريس ، وكانت أكثر ملاءمة لنشر أفكاره ولمواصلة جهاده وكفاحه ضد الانجليز ، لتهييج الرأى العام الاسلامى ، وتنبيهه الى الخطر المحدق به ، ولربما ظن أنه سيجد عونا لدى الفرنسيين لما كان بين فرنسا وانجلترا فى ذلك الحين من تنافس على اقتسام أملاك الدولة العثمانية فى مصر وشمال أفريقيا .

ولما استقر السيد فى باريس أرسل الى محمد عبده يدعوه أن يلحق به ، لكى يعاونه على متابعة الجهاد من أجل ايقاظ المسلمين ،وكان محمد عبده قد حكم عليه بالنفى ثلاث سنوات ، بعد فشل ثورة « أحمد عرابى » فغادر مصر فى (١٣ صفر سنة ١٣٠٠ هجرية ٢٤ من ديسمبر ١٨٨٢ ميلادية) واتجه الى بلاد الشام ، حيث نزل الى «بيروت» وبدأ يراسل أستاذه « بباريس » حتى انتهت المراسلة بسفره اليها ، فحينما وصل الاستاذ الامام الى باريس اقترح فى أول الأمر على استاذه السيد جمال الدين أن يذهبا الى مكان بعيد ، غير خاضع لسلطان دولة تعرقل سيرهما ، ثم ينشئا فيه مدرسة للزعماء ، يختاران لها التلاميذ من نجباء الناشئين من الأقطار الاسلامية ، ومن يتوسمان فيهم الخير ، ثم يربيانهم على منهج قويم يختارانه ، ويعدانهم للزعامة والاصلاح ، وبعد عشر سنين تخرج المدرسة عددا من التلاميذ المستعدين لترك أوطانهم ، والسير فى الأرض لنشر الاصلاح المطلوب . ولكن هذا الرأى لم يعجب جمال الدين الأفغانى ، ورأى فيه خورا فى العزيمة ، ومبالغة فى التشاؤم وقال لمحمد عبده : « انما أنت مثبط » (١) (أى معوق) وكان رأى السيد أن الانتظار الى الاصلاح بعد عشر سنين أمر يعوقنا عما يلزمنا ان نعمل ، ويجب علينا أن نطبقه فى العصر الحاضر . وكان السيد يرى أن مع عملية الدرس والتدريس والتعليم والتربية، يجب على المصلحين ألا يكونوا غافلين عن ايجابات العصر الراهن ، واصلاحات سياسية وفورية ، لكى لا يفوت الوقت ، ولذلك اتفق الشيخ محمد عبد مع أستاذه ، فاشتركا مع جماعة من أفاضل مسلمى الهند ومصر فى تأسيس جمعية اسلامية سميت « بجمعية العروة الوثقى » ، وكانت هذه الجمعية سرية ، ولم يكن أصل قانونها مكتوبا ، لكن تهدف الى اعادة عزة الاسلام ومجده ، والى العمل على

---

(١) من كتاب رشيد رضا للدكتور ابراهيم العدوى ص ٦٩ من سلسلة أعلام العرب .

تطهير عقائده مما شابها ، ولا يكون ذلك الا بعودة المسلمين الى ماكان عليه سلفهم فى الصدر الاول ، وبخاصة فى عهد الخلفاء الراشدين وكذلك كانت الجمعية تريد دعوة المسلمين الى الاتحاد والتضامن ، حتى يشد بعضهم أزر بعض .

وكانت لجمعية (العروة الوثقى) لائحة سرية ، اشتملت على أكثر من ثلاثين بندا (١) كان أهمها البنود الثلاثة الآتية :

١ ـ النظر فى حال المسلمين واقوالهم وأعمالهم للوقوف على احساسهم الدينى والمعرفة بمقدار الدعاية الاعتقادية ، ليعلم الداء ويعالج بالدواء اللائق به .

٢ ـ العمل على الدواء بالقول والكتابة والتأليف .

٣ ـ أن يراعى فى كل حالة تمكين الفكر وتأسيس الارتباط ، حتى يكون عند كل واحد أن مصلحة الكل بمنزلة مصلحة الشخص أو أعلى ، ولا يقبل قول من قائل حتى يكون عمله أزيد من قوله أو مساويا له ، وكان لاعضاء جمعية العروة الوثقى حلف وعهد .

ونص الحلف والعهد لأعضاء تلك الجمعية السرية «جمعية العروة الوثقى » كما يأتى (٢) : أقسم بالله العالم بالكلى والجزئى ، والجلى والخفى ، القائم على كل نفس بما كسبت ، الآخذ لكل جارحة بما اجترحت ، لأحكمن بكتاب الله فى أعمالى ، واخلاقى ، بلا تأويل ولا تضليل .. ولأجيبن داعيه فيما دعا اليه ، ولا أتقاعد عن تلبيته فى أمر ولا فى نهى ولأدعون لنصرته ، ولأقومن بها ما مت حيا ، لا أفضل على الفوز بها مالا ولا ولدا .

أقسم بالله مالك روحى ومالى ، القابض على ناصيتى ، المصرف لاحساسى ووجدانى ، الناصر لمن نصره ، الخاذل لمن خذله ، لأبذلن ما فى وسعى لاحياء الاخوة الاسلامية ، لأنزلنها منزلة الأبوة والبنوة الصحيحتين ، ولأعرفنها كذلك لكل من أرتبط برابطة « العروة الوثقى » ، وانتظم فى عقد من عقودها ، ولأراعينها فى غيرهم من المسلمين ، الا أن يصدر عن أحد ما يضر بشوكة الاسلام ، فانى أبذل جهدى فى ابطال عمله المضر بالدين ، وآخذ على نفسى فى أثره مثل ما آخذ عليها فى المدافعة عن شخصى .

---

(١) تاريخ الشيخ محمد عبده ج ١ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧ .

(٢) من كتاب محمد عبده لامين عثمان ص (٧٢ ـ ٧٣) فى سلسلة أعلام الاسلام .

أقسم بهيبة الله وجبروته ألا أقدم الا ما قدمه الدين ، ولا أؤخر الا ما أخره الدين ، ولا أسعى قدما واحدة اتوهم فيها ضررا يعود على الدين جزئيا كان أو كليا ، وألا أخالف أهل العقد الذين ارتبطت معهم بهذا اليمين فى شىء يتفق رأى أكثرهم عليه ، وعلى عهد الله وميثاقه أن اطلب الوسائل لتقوية الاسلام والمسلمين ، عقلا وقدرة ، بكل وجه أعرفه . وما جهلته أطلب علمه من العارفين ، لا أدع وسيلة حتى احيط بها بقدر ما يسعه امكانى (الوجودى) وأسأل الله نجاح العمل ، وتقريب الأمل ، وتأييد القائم بأمره والناشر للواء دينه . آمين .

وهناك فى باريس كتب السيد بمعاونة جمعية « العروة الوثقى » جرائد العروة الوثقى وكان رئيس تحريرها الشيخ محمد عبده . وكان يعاون الاستاذ محمد عبده فى تحرير جريدة « العروة الوثقى » بباريس رجل فارسى اسمه « مرزا محمد باقر » كان يترجم للجريدة المقالات المهمة من الصحف الانجليزية ، ومرزا باقر هذا كان ذا حظ كبير من الذكاء ، وسرعة الحفظ ، وقوة الذاكرة ، كان حافظا للكتاب المقدس ، مستحضرا لآيات القرآن ، ملما بلغات كثيرة ، وكان مسلما فتنصر ، وصار داعية للنصرانية مع جماعة من المبشرين ، وكان قد عرفه السيد الأفغانى من قبل فى « ثغر بوشير » فى الخليج الفارسى ، وجادله مرة فبدرت منه كلمة طعن فى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمر السيد جمال الدين من معه من الأفغانيين بضربه ، فضربوه ، وطردوه ، فلما عاد السيد جمال الدين الى باريس ، واشتغل مع الشيخ محمد عبده باصدار «العروة الوثقى» ، أرسل اليهما «مرزا باقر» بطاقة الاستئذان ، فدخل وذكر ما كان من ارتداده عن دينه ، ثم عودته اليه ، وتكفيره عن ذنبه بالدعاية للاسلام ، وعرض على السيد استعداده لخدمته فى ادارة جريدة « العروة الوثقى » فاشتغل فيها مترجما عن اللغة الانجليزية ، التى كان يتقنها نثرا ، ونظما ، ولما ذهب الشيخ محمد عبده من «باريس» الى لندن ، لمحادثة رجال السياسة الانجليزية ، فى المسألة المصرية ، سافر معه (مرزا باقر) ليكون مترجما بينه وبينهم . (1)

وكان ممن يترددون على ادارة « العروة الوثقى » يهودى مصرى ، يدعى « يعقوب صنوع » ، واسمه المستعار « أبو نضارة » وهو من

(1) من كتاب أعلام الاسلام . محمد عبده ـ لعثمان امين ص ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ .

الشخصيات الجذابة حقا ، وقد قام بنصيب لا يستهان به في تاريخ القضية المصرية (١).

وقد صدر العدد الاول من جريدة العروة الوثقى فى (٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ هجرية ١١ مارس سنة ١٨٨٤ ميلادية) ثم احتجبت عن الظهور فى (شهر ذى الحجة سنة ١٣٠١ هـ) بسبب محاربة الانجليز لها ، وكان ما صدر من هذه الجريدة ثمانية عشر عددا ، وقد لخصت الجمعية أهدافها فى العدد الأول من جريدتها وهى هذه المبادىء :

١- ستضع الجمعية نفسها فى خدمة الشرقيين عامة ، فتبين لهم الواجبات التى يجب عليهم القيام بها ، والتى كان التفريط فيها سببا فى تدهورهم ، وتوضح الطرق التى يجب اتباعها لتدارك الاخطاء الماضية ، ولتجنب الصعاب والأخطار فى المستقبل .

٢ - ستبحث معهم الاسباب والعلل التى أدت الى ضعفهم ، وفى طليعتها تفريطهم فى تعاليم دينهم .

٣ - وستكشف الغطاء عن الشبه التى شغلت أوهام المترفين وتزيح الوساوس التى سيطرت على عقول المنعمين ، مما أدى الى اليأس من الاصلاح والقنوط من تلافى الأخطاء الماضية .

٤ - وستحاول أن تحيى الأمل فى النفوس ، وتبين أن طريق النهوض ليس بالصعوبة المتوهمة التى توجب فتور الهمة أو خور العزيمة .

٥ - ستبدى اهتماما خاصا بالرد على التهم التى توجه الى الشرقيين عامة والمسلمين بصفة خاصة ؛ وستعنى بتفنيد المفتريات

---

(١) كان يعقوب صنوع أول أمره يمثل فى مصر قطعا مسرحية فيها شىء من الثورة على القديم ، وان كانت فى قالب هزلى وكان الخديو اسماعيل يعجب بها ، ويلقبه « بموليير مصر » ، والى جانب هذا كان «صنوع» يصدر فى مصر عام ١٨٧٧ م جريدة هزلية اسبوعية اسمها «أبو نضارة» ، كانت تنشر باللغة العامية المصرية ، وقد لقيت بين طبقات الشعب اقبالا ، لكن الخديو اسماعيل ضاق بها ذرعا ، لما كانت تحوى من نقد جرىء وتهكم لاذع فامر بنفيه من مصر ، فلجأ «أبو نضارة» الى فرنسا ، وثابر على اصدار جريدته بأسماء مختلفة ، متابعا حملاته على الخديو ، ورجاله ، وعلى الحكومة ، وقناصل الدول الأوروبية ، الى أن كانت سنة ١٨٨٢ م ؛ فأخذ «أبو نضارة» يندد بالاحتلال الانجليزى ، معددا سيئاته مناديا بحق مصر في الحرية والاستقلال ، ويعقوب صنوع كتب في خطبه ومقالاته لمصر زهاء ٣٤ عاما .

التى يزعم قائلوها بأن المسلمين لن ينهضوا أبدا ماداموا متمسكين بأصول دينهم .

٦ — وستوالى الجريدة اطلاع الشرقيين على الاحداث العالمية واسرارها ، ليحيطوا علما بما يدبره السياسيون الاوروبيون ، وما يبيتونه لهم ولكى يعلموا فى أى عالم يعيشون حتى لا يقعوا فى شراك الدعايات المغرضة .

٧ — وأخيرا ستعمل الجريدة على تقوية الصلات بين الامم الاسلامية ، وبيان المنافع المشتركة بينها ، وعلى مناصرة كل سياسة خارجية من شأنها الا توقع حيفا بالشرقيين ، وقامت « العروة الوثقى » برسالتها ، فكانت منارة للشرقيين عامة ، ونبراسا لكل مجاهد حر يناضل فى سبيل الحرية والحياة .

وكانت شواظا من نار على الاستعمار والبغاة ، وكانت تلقى النور المبين على جوانب الاسلام ، لتظهره للعالمين مطهرا مما ألحق به ، ودس عليه ، ونسب اليه .

دينا ارتضاه الله لعباده رحمة وخيرا وأهلا لخير حضارة أخرجت للناس .

وأدركت بريطانيا الخطر الكامن وراء سطور تلك الجريدة الخطر المدمر لسياستها ، الفاضح لفظائعها وأهدافها ، فأعلنت الحرب الشاملة عليها ، وكان من نذر هذه الحرب أن منع دخول أعدادها فى البلاد الاسلامية ، وأخذت تتعقب الاحرار الذين ترسل اليهم ، وقامت الحكومة المصرية من جانبها بمؤازرة حليفتها الاستعمارية فحددت عقوبات لمن يضبط متلبسا بجريمة قراءتها .

لا شك أن جرائد « العروة الوثقى » والقائمين بنشرها خدموا الاسلام ، والشرق بل الانسانية كلها . ولو قرأنا اعداد « العروة الوثقى» بامعان النظر لوجدنا فيها علاجا ناجحا لأدواء الفرد والمجتمع ، لأن فيها روح الحقيقة الحرة ، وأن طريق استدلالاتها مؤكدة ومركبة من المقدمات الحقة ، ويظهر من أعداد « العروة الوثقى » أن السيد فى عصره كشف أمراض الشرق ، بل أمراض الانسانية كلها ، ووصل فى تحليلاته الفلسفية الى تشخيص المعالجة الناجحة وأنه بحث ما يلزم للحياة الاجتماعية وهو البحث عن الأسباب والعلل وأنه أخذ الأفكار الصحيحة من المعلومات والتجارب ، وكان فكره وذكاؤه من مواهب الله تعالى ،

الذى يجعل من البشر الأنبياء والرسل والنوابغ ويعطى الحكمة من يشاء (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولوا الالباب) ولو تعمقنا فى أفكار السيد وخطاباته وندواته وكتاباته ، نفهم أنه كيف يفكر وينطق ويتكلم : هو ينطق عما يهم الناس ويؤيد الحق للحق ، ووقف حياته لخدمة البشر والاسلام والشرق • ولاثبات ما ذكرنا ينبغى لنا أن نقرأ مقالات « جريدة العروة الوثقى » •

واكتفى على سبيل المثال بمقالتين أذكرهما بنصيهما لأن فى تينك المقالتين أهم ما يوقظ المسلمين جميعا وينبههم لاهدافهم السامية •

المقالة الأولى من « العروة الوثقى » هى ما يأتى :

« آراء السيد جمال الدين الأفغانى فى القضاء والقدر »

أورد السيد فى هذه المقالة لشرح القضاء والقدر ما يلزم أن يقرأه كل من يريد المعرفة للقضاء والقدر حق المعرفة ، لكى يفهم أن هدف الدين الاسلامى وسائر الأديان السماوية من القضاء والقدر غير ما يعبر عنه عامة الناس •

بل عقيدة القضاء والقدر فى الحقيقة هى الوسيلة الوحيدة للنجاة والسعادة واليك نص المقالة :

قضت سنة الله فى خلقه بأن للعقائد القلبية سلطانا على الأعمال البدنية ، فما يكون فى الأعمال من صلاح أو فساد ، فانما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها على مابينا فى بعض الأعداد الماضية ، ورب عقيدة واحدة تأخذ بأطراف الافكار فتتبعها عقائد ومدركات أخرى ، ثم تظهر على البدن بأعمال تلائم أثرها فى النفس ، ورب أصل من أصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذا عرضت على الانفس فى تعليم أو تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع ، فتلتبس عليه بما ليس من قبلها أو تصادف عنده بعض الصفات الرديئة ، أو الاعتقادات الباطلة فيعلق بها عند الاعتقاد شىء مما تصادفه • وفى كلتا الحالتين يتغير وجهها ويختلف أثرها ، وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنية على الخطأ فى الفهم ، أو على خبث الاستعداد ، فتنشأ عنها أعمال غير صالحة ، وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد ، ولا كيف يصرفه اعتقاده ، والمغرور بالظواهر يظن أن تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الأصل وتلك القاعدة • ومن مثل هذا الانحراف

فى الفهم وقع التحريف والتبديل فى بعض أصول الاديان غالبا ، بل هو علة البدع فى كل دين على الأغلب ، وكثيرا ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال ، أفضى بمن ابتلاهم الله به الى الهلاك وبئس المصير • وهذا ما يحمل بعض من لا خبرة لهم على الطعن فى دين من الأديان ، أو عقيدة من العقائد الحقة ، استنادا الى أعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين أو العقيدة •

من ذلك عقيدة « القضاء والقدر » التى تعد من أصول العقائد فى الديانة الاسلامية الحقة • كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج ، وظنوا بها الظنون ، وزعموا أنها ما تمكنت من نفوس قوم الا وسلبتهم الهمة والقوة، وحكمت فيهم الضعف والضعة ، ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم أطوارا ، ثم حصروا علتها فى الاعتقاد بالقدر فقالوا ، ان المسلمين فى فقر وفاقة وتأخرفىالقوة الحربية والسياسية عن سائر الأمم،وقد فشا فيهم فساد الأخلاق ، فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحـــاقد والتباغض ، وتفرقت كلمتهم ،وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة ، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم ، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ، ثم لاينافسون غيرهم فى فضيلة ، متى أمـــكن لأحدهم أن يضر أخاه لا يقصر فى الحاق الضرر به ، فجعلوا بأسهم بينهم ، والأمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعـد أخرى ، رضوا بكل عارض واســـتعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى الســـكون فى كسور بيوتهم ، يسرحون فى مرعـاهم ، ثم يعودون الى مأواهم •

الامراء فيهم يقطعون أزمنتهم فى اللهو واللعب ومعاطات الشهوات ، وعليهم فروض وواجبات تستغرق فى أدائها أعمارهم ولا يؤدون منهـــا شيئا يصرفون أموالهم فيما يقطعون به زمانهم اسرافا وتبذيرا ، نفقاتهم واسعة ، ولكن لايدخل فى حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخاذلون ويتنافرون ، ويبنوطون المصالح العمومية بمصالح الخصوصية ، فـرب تنافر بين الأميرين يضيع أمة كاملة ، كل منهما يخذل صاحبه ، ويستعدى عليه جاره ،فيجد الاجنبى فيهما قوة فانية وضعفا قاتلا ،فينال من بلادهما مالا يكلفه عددا ولا عدة • شملهم الخوف وعمهم الجبن والخور ، يفزعون من الهمس ، ويألمون من اللمس • قعدوا عن الحركة الى ما يلحقون به الامم فى العزة والشوكة ، وخالفوا فى ذلك أوامر دينهم ، مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين تحت سلطتهم يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون ، واذا أصاب قوما من اخوانهم مصيبة أو عدت عليهم عادية لا يسعون فى تخفيف مصابهم ، ولا ينبعثون لمناصرتهم ، ولا توجد فيهم جمعيـــات ملية كبيرة

لا جهرية ولا سرية ، يكون من مقاصدها احياء الغيرة ، وتنبيه الحمية، ومساعدة الضعفاء ، وحفظ الحق من بغى الاقوياء وتسلط الغرباء •

هكذا نسبوا الى المسلمين هذه الصفات وتلك الأطوار ، وزعموا أن لا منشأ لها الا اعتقادهم « بالقضاء والقدر » وتحويل جميع مهماتهم على القدرة الالهية ، وحكموا بأن المسلمين لو داموا على هذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة ، ولن ينالوا عزا ولن يعيدوا مجدا ، ولا يأخذون بحق ، ولا يدفعون تعديا ، ولا ينهضون بتقوية سلطان ، أو تأييد ملك ، ولايزال بهم الضعف يفعل فى نفوسهم ، ويركس من طباعهم ، حتى يؤدى بهم الى الفناء والزوال « والعياذ بالله » يفنى بعضهم بعضا بالمنازعات الخاصة ، وما يسلم من أيدى بعضهم يحصده الاجانب •

واعتقد أولئك الافرنج انه لا فرق بين الاعتقاد «بالقضاء والقدر» وبين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين : بأن الانسان مجبور محض فى جميع أفعاله ، وتوهموا أن المسلمين بعقيدة القضاء يرون أنفسهم كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ، ومتى رسخ فى نفوس قوم أنه لا خيار لهم فى قول ولا عمل ، ولا حركة ولا سكون ، وانما جميع ذلك بقوة جابرة ، وقدرة قاسرة ، فلا ريب تتعطل قواهم ، ويفقدون ثمرة ما وهبهم الله من المدارك والقوى ، وتمحى من خواطرهم داعية السعى والكسب ، وأجدر بهم بعد ذلك أن يتحولوا من عالم الوجود الى عالم العدم •

هكذا ظنت طائفة من الافرنج ، وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول فى المشرق ، ولست أخشى أن أقول : كذب الظان وأخطأه الوهم وبطل الزاعم ، وافتروا على الله والمسلمين كذبا ، لا يوجد مسلم فى هذا الوقت من سنى ، وشيعى ، وزيدى ، واسماعيلى ، ووهابى ، وخارجى ، يرى مذهب الجبر المحض ، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة ، بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزءا اختياريا فى أعمالهم، ويسمى بالكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم ، وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختيارى ، ومطالبون بامتثال جميع الاوامر الالهية ، والنواهى الربانية ، الداعية الى كل خير ، الهادية الى كل فلاح ، وأن هذا النوع من الاختيار هو مورد التكليف الشرعى ، وبه تتم الحكمة والعدل .

نعم كانت بين المسلمين طائفة تسمى بالجبرية ذهبت الى أن الانسان مضطر فى جميع أفعاله اضطرارا لا يشوبه اختيار ، وزعمت أن لا فرق

بين أن يحرك الشخص فكه للأكل والمضغ ، وبين أن يتحرك بقفقفة البرد عند شدته ، ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة ، وقد انقرض أرباب هـــذا المذهب فى أواخر القرن الرابع من الهجرة ، ولم يبق لهم أثر ، وليس الاعتقاد « بالقضاء والقدر » هو عين الاعتقاد بالجبر ، ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ما ظنه أولئك الواهمون •

الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع ، بل ترشد اليه الفطرة ، وسهل على من له فكر أن يلتفت الى أن كل حادث له سبب يقـارنه فى الزمان ، وانه لا يرى من سلسلة الاسباب الا ما هو حاضر لديه ، ولايعلم ماضيها الا مبدع نظامها ، وأن لكل منها مدخلا ظاهرا فيما بعده بتقدير العزيز العليم ، وارادة الانسان انما هى حلقة من حلقات تلك السلسلة ، وليست الارادة الا أثرا من آثار الادراك ، والادراك انفعال النفس بمـــا يعرض على الحواس ، وشعورها بما أودع فى الفطرة من الحـــاجات ، فلظواهر الكون من السلطة على الفكر والارادة مالا ينكره أبله فضلا عن عاقل ،وأن مبدأ هذه الاسباب التى ترى فى الظاهر مؤثرة انما هو بيد مدبر الكون الاعظم الذى أبدع الاشياء على وفق حكمته ، وجعل كل حادث تابعا لشبهه ، كأنه جزء له خصوصا فى العالم الانسانى •،

ولو فرضنا أن جاهلا ضل عن الاعتراف بوجـود اله صانع للعالم فليس فى امكانه ان يتخلص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعيـــة ، والحوادث الدهرية فى الارادات البشرية ، فهل يستطيع الانسان أن يخرج بنفسه عن هذه السنة التى سنها الله فى خلقه ؟ هذا أمر يعترف به طلاب الحقائق ــ فضلا عن الواصلين ــ وأن بعضا من الحكماء الافرنج وعلمـــاء سياستهم التجأوا الى الخضوع لسلطة القضاء ، وأطالوا البيان فى اثباتها، ولسنا فى حاجة الى الاستشهاد بآرائهم •

ثم كتب السيد : الاعتقاد « بالقضاء والقدر » اذا تجرد عن شناعة الجبر تتبعه صفة الجرأة والاقدام ، وخلق الشجاعة والبسالة ، ويبعث على اقتحام المهالك التى توجف لها قلوب الاسود ، وتنشق منها مرائر النمور، هذا الاعتقاد يطبع الانفس على الثبات واحتمال المكاره ، ومقارعة الأهوال ، ويحليها بحلى الجود والسخاء ، ويدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها ، بل يحملها على بذل الأرواح ، والتخلى عن نضرة الحياة ، كل هـــذا فى سبيل الحق الذى قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة • الذى يعتقد بأن الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء كيف يرهب

الموت فى الدفاع عن حقه ، واعلاء كلمة أمته أو ملته ، والقيام بما فرض الله عليه من ذلك ؟ ٠

وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله فى تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الأوامر الالهية ، وأصول الاجتماعات البشرية ؟ ٠

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته فى قول الحق : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضـــل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ٠

اندفع المسلمون فى أوائل نشأتهم الى الممالك والأقطار يفتحونها ويتسلطون عليها ، فأدهشوا العقول وحيروا الألباب بما دوخوا الدول وقهروا الامم ، وامتدت سلطتهم من جبال بيرينى الفاصـــلة بين أسبانيا وفرنسا الى جدار الصين ، مع قلة عدتهم وعددهم وعدم اعتيـــادهم على الأهوية المختلفة ، وطبائع الاقطار المتنـــوعة ، أرغموا الملوك ، وأذلوا القياصرة والاكاسرة ، فى مدة لا تتجاوز ثمانين سنة ! ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات ٠ ثم بعد بسط ذكر السيد أن ببركة القضاء والقدر حصـــل للمسلمين الفوز والنجـاح فى كل محـــاولاتهم ومكافحاتهم ، ولكن لما نظر الســـيد الى حال المســـلمين والشرقيين ، صدرت من أعماق قلبه ولطف قريحته ورقته الكلمات الآتية :

« بكائى على السالفين ونحيبى على السابقين أين أنتم ياعصبة الرحمة وأولياء الشفقة ؟ أين أنتم يا أعلام المروءة ، وشوامخ القوة ، أين أنتم ياآل النجدة ، وغوث المضيم يوم الشدة ؟ أين أنتم ياخير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر؟ أين أنتم أيها الأمجاد الانجاد القوامون بالقسط الآخذون بالعدل الناطقون بالحكمة ، المؤسسون لبناء الامة ؟ ، ألا تنظرون من خلال قبوركم الى ما أتاه خلفكم من بعدكم ، وما أصاب أبناءكم ومن ينتحل نحلتكم ؟ انحرفوا عن سنتكم ، وجاروا عن طريقكم ، فضلوا عن سبيلكم ، وتفرقوا فرقا وأشياعا ، حتى أصبحوا من الضعف على حال تذوب لها القلوب أسفا ، وتحترق لها الأكبـــاد حزنا ٠ أضحوا فريسة للأمم الاجنبية لا يستطيعون ذودا عن حوضـــهم ، ولا دفاعا عن حوزتهم ، ألا يصيح من برازخكم صائح منكم ينبه الغافل ، ويوقظ النائم ، ويهدى الضال الى سواء السبيل ؟ (انا لله وانا اليه راجعون) ٠٠

أقول وربما لا أخشى واهما ينازعني فيمـــا أقول من بداية تاريخ

الاجتماع البشرى الى اليوم ، ما وجد فاتح عظيم ولا محارب شهير ، نبت فى أوسط الطبقات ، ثم رقى بهمته الى أعلى الدرجات ،فذللت له الصعاب ، وخضعت الرقاب ، وبلغ من بسطة الملك ما يدعو الى العجب ، ويبعث الفكر لطلب السبب ، الا كان معتقدا « بالقضاء والقدر » سبحان الله ! الانسان حريص على حياته شحيح بوجوده ، على مقتضى الفطرة والجبلة ، فما الذى يهون عليه اقتحام المخاطر ، وخوض المهالك ، ومصارعة المنايا ، الا الاعتقاد « بالقضاء والقدر » وركون قلبه الى أن المقدر كائن ولا أثر لهول المظاهر ٠

أثبتت لنا التواريخ ان « كورش » الفارسى (كيخسرو) وهو أول فاتح يعرف فى تاريخ الأقدمين ، ما تسنى له الظفر فى فتوحاته الواسعة ، الا أنه كان معتقدا « بالقضاء والقدر » فكان لهذا الاعتقاد لا يهوله هول ، ولا توهن عزيمته شدة ، وان « الاســـكندر الأكبر » اليونانى كان ممن رسخ فى نفوسهم هذه العقيدة الجليلة ، « وجنكيزخان » التترى صاحب الفتوحات المشهورة كان من أرباب هذا الاعتقاد ، بل كان نابليون الاول بونابرت الفرنساوى من أشد الناس تمسكا بعقيدة القضاء ، وهى التى كانت تدفعه بعساكره القليلة على الجماهير الكثيرة ، فيتهيأ له الظفر وينال بغيته من النصر ٠

فنعم الاعتقاد الذى يطهر النفوس الانسانية من رذيلة الجبن ، وهو أول عائق للمتدنس به عن بلوغ كماله فى طبقته أيا كانت ، نعم اننـــا لا ننكر أن هذه العقيدة قد خالطها فى نفوس بعض العامة من المسلمين شوائب من عقيدة الجبر ، وربما كان هذا سببا فى رزيئتهم ببعض المصائب التى أخذتهم بها الحوادث فى الاعصر الأخيرة ، ورجاؤنا فى الراسخين من علماء العصر أن يسعوا جهدهم فى تلخيص هذه العقيدة الشريفة من بعض ما طرأ عليها من لواحق البدع ، ويذكروا العامة بسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون ، وينشروا بينهم ما أثبتته ائمتنا رضى الله عنهم كالشيخ « الغزالى » وأمثاله من أن التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع منا فى العمل لا فى البطالة والكسل ، وما أمرنا الله أن نهمل فروضنا ، وننبذ ما أوجب علينا ، بحجة التوكل عليه ، فتلك حجة المارقين عن الدين، الحائدين عن الصراط المستقيم ٠ ولا يرتاب أحد من أهل الدين الاسلامى فى أن الدفاع عن الملة فى هذه الأوقات صار من الفروض العينية على كل مؤمن مكلف ، وليس بين المسلمين وبين الالتفات الى عقائدهم الحقة التى تجمع كلمتهم وترد اليهم عزتهم ، وتنهض غيرتهم لاسترداد شأنهم الاول الا دعوة خير من علمائهم ، وأن جميع ذلك موكول الى ذمتهم ٠

أما ما زعموه فى المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأه هذه العقيدة « ولا غيرها من العقائد الاسلامية » ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه ، بل أشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج ، والبرودة الى النار ، نعم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر ، وثمل من العز والغلب ، وفاجأهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان صدمة من طرف الشرق وهى غارة التتر من جنكيزخان وأحفاده ، وصدمة من جهة الغرب وهى زحف الأمم الاوروبية بأسرها على ديارهم ، وأن الصدمة فى حال النشوة تذهب بالرأى ، وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة ، وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعة ، ووسد الامر فيهم الى غير أهله ، وولى على أمورهم من لا يحسن سياستهم ، فكان حكامهم وأمراؤهم من جراثيم الفساد فى أخلاقهم وطباعهم ، وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم ، فتمكن الضعف من نفوسهم ، وقصرت أنظار الكثير منهم على ملاحظة الجزئيات التى لا تتجاوز لذته الآنية ، وأخذ كل منهم بناصية الآخر ، يطلب له الضرر ، ويلتمس له السوء من كل باب ، لا لعلة صحيحة ولاداع قوى ، وجعلوا هذه ثمرة الحياة . فآل الامر بهم الى الضعف والقنوط وأدى الى ما صاروا اليه . (١)

المقالة الثانية : من « العروة الوثقى » :

« آراء السيد فى انحطاط المسلمين وخمولهم وسبب ذلك »

أورد السيد فى هذه المقالة الاسباب والعلل التى صارت منشأ لانحطاط المسلمين وسكونهم ، ويتضح منها أن سبب انحطاط المسلمين عدم علمهم وعدم عملهم عملا معقولا بارشادات الدين الاسلامى ، بل ان أكثر المسلمين كما يقرون أنهم يعتقدون بالدين الاسلامى اجمالا ، ولا يعرفون الاسلام حق معرفته ولا يعملون على أساسه حق العمل وقد كتب السيد فى هذه المقالة ما يأتى :

«المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالب به الشريعة ، وما يفرض عليه الايمان ، وهو هاتف الحق الذى بقى له من الهامات دينه ، ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين فى هذه

(١) من كتاب : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى . الناشر دار العرب ص ٤٩ — ٥٧ .

الأيام بعضهم فى غفلة عما يلم بالبعض الآخر ، ولا يألمون لما يألم له بعضهم، فأهل (بلوجستان) كانوا يرون حركات الانجليز فى « أفغانستان » على مواقع أنظارهم ، ولا يجيش لهم جائش ، ولم تكن لهم نعرة على اخوانهم ، والافغانيون كانوا يشهدون تدخل الانجليز فى بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتململون ، وان جنود الانجليز تقترب من الاراضى المصرية ذهابا وايابا وتقتل وتفتك ، ولا ترى نجدة فى نفوس اخوانهم المشرقيين (والشرقيين) على مجارى دمائهم ، بل السامعين لخريرها من حلاقيمهم ، الذين احمرت أحداقهم من مشاهدها بين أيديهم وتحت أرجلهم وعن شمائلهم » •

ثم كتب السيد جمال الدين الأفغـانى فى تلك المقالة بعـد تمهيد المقدمات عن السبب فى سكون المسلمين ، والعلة فى تباطئهم عن نصرة اخوانهم مع شدتهم فى الدين وقوة عقائدهم ما يأتى : « انه لم يبق من جامعة بين المسلمين فى الاغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال ، وانقطع التعارف بينهم ، وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل ، فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل ، فالعالم التركى فى غيبة عن حال العالم الحجازى ، والعالم الهندى فى غفلة عن شئون العالم الافغانى ، وهكذا •• بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ، ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة ، من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر ، أما فى هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم ، بل لا أنساب بينهم ، وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه •

كما كانت هذه الجفوة وذلك الهجران بين العلماء ، كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين ، أليس بعجب الا تكون سفارة للعثمانية فى مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب الا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الأفغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين فى الشرق ؟

هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين ، حتى صح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ، ولا بلد وبلد الا طفيف من الاحساس بأن بعض الشعوب على دينهم ، ويعتقدون مثل اعتقادهم ، وربما يعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعضهم ببعض فى موسم الحجيج العام ، وهذا النوع من الاحساس هو الداعى الى الأسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد أجنبى عن ملته ، لكنه لضعفه لايبعث على النهوض لمعاضدته •

كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج ، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال ، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم . بدأ هذا الانحلال والضعف فى روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة ، وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه فى الدين ، والاجتهاد فى أصوله وفروعه ، كما كان الراشدون رضى الله عنهم .

كثرت بذلك المذاهب ، وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل فى دين من الأديان ، ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام : خلافة عباسية فى بغداد ، وفاطمية فى مصر والمغرب ، وأموية فى أطراف الأندلس ، تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها ، وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك ، فسقطت هيبتها من النفوس ، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ، ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة ، وتقطعت الوشائج بينهم بظهور «جنكيزخان» وأولاده « وتيمورلنك » وأحفاده وايقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا ، حتى أذهلوهم عن أنفسهم ، فتفرق الشمل بالكلية ، وانفصمت عن الالتئام بين الملوك والعلماء جميعا ، وانفرد كل بشأنه أو انصرف الى مايليه ، فتبدد الجمع الى آحاد ، وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا ، اما الى ملك أو مذهب ، فضعفت آثار العقائد التى كانت تدعو الى الوحدة ، وتبعث الخيال ، وتلحظها الذاكرة عند عرض ما فى خزائن النفوس من المعلومات ، ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عندما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى السامع على طول من الزمان ، وما هو الا نوع من الحزن على الفائت ، كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة ، ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التى شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ، ويتداركوا الاختلاف الذى وقع فى الملك بتمكين الاتفاق الذى يدعو اليه الدين ، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق فى مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا لروح حياة الوحدة ، ويصير كل واحد منها كحلقة فى سلسلة واحدة ، اذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف

الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة الوعاظ فى جميع أنحاء الأرض بعضهم ببعض ، ويجعلون لهم مركزا فى أقطار مختلفة ، يرجعون اليها فى شئون وحدتهم ، ويأخذون بأيدى العامة الى حيث يرشدهم التنزيل ، وصحيح الأثر ، ويجمعوا أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه فى الأقطار المقدسة ، وأشرفها معهد بيت الله الحرام ، حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان ، والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها ، بما يحط من شأنها ويكون كذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الافهام ، وصيانة الدين من البدع، فان احكام الربط انما يكون بتعيين الدرجات العلمية ، وتحديد الوظائف ، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس بخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل.

الا أننا نأسف غاية الأسف اذا لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهى أقرب الوسائل ، وان التفت اليها فى هذه الايام طائفة من أرباب الغيرة ، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ، ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ، ويجمع شتيتهم ، فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه ، ما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم ، ويصافحوا بالألف من هو على مقربة منهم ، ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة . أو ما يخشى أن يمسها بضرر ، ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة .

« والرمق باق والآمال مقبلة ، والى الله المصير » (١)

---

(١) من كتاب « العروة الوثقى » والثورة التحريرية الكبرى الناشر : دار العرب ص ـ ٣١ ـ ٣٥ .

« مجمل ما قام به السيد
جمال الدين فى باريس »

ان السيد جمال الدين الأفغانى أقام ثلاث سنوات فى باريس ، يعمل لخدمة الشرق والعالم الاسلامى والانسانى • وقد أسس فى عام ١٣٠١ هـ جريدة « العروة الوثقى » ، لمقاومة سياسة الانجليز خاصة والأوربيين عامة ، واستخلاص العالم الاسلامى والشرقى من نير الذل والاستعمار وكانت الجريدة ترسل وتوزع مجانا الى كل جهات العالم الاسلامى ، والشرقى ، وقد صدر العدد الاول من هذه الجريدة فى ثمان وثلاثين صفحة يوم ١٥ جمادى الثانى سنة ١٣٠١ هـ ، رسمت فيه منهجا «علميا للاصلاح» ، وحددت معالمه فى ست نقاط رئيسية ، عرضتها على النحو التالى :

١ ـ شرحت واجبات الشرقيين ، وكيف أن التفريط فيها أدى الى ضعفهم وسقوط مجدهم ! ثم أوضحت لهم الطرق التى يجب عليهم السير فيها لتدارك ما فات •

٢ ـ عمدت الى اشراب النفوس عقيدة الأمل فى النجاح وازالة ماحل بها من اليأس •

٣ ـ دعت الى التمسك بالاصول التى كان عليها آباء الشرقيين ، وأسلافهم ، وهى ما تمسكت به الدول الأجنبية ، التى صارت لها القوة والمنعة •

٤ ـ هدمت فى ايمان وقوة التهم التى حاول الاستعمار لصقها بالشرقيين عامة والمسلمين خاصة •

٥ ـ زودت الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة ، والخاصة •

٦ ـ أفاضت فى بيان أهمية تقوية الصلات بين الأمم الاسلامية ، وتمكين الألفة بين أفرادها (١) •

---

(١) من كتاب أعلام العرب ـ رشيد رضا ـ للدكتور ابراهيم العدوى ص (٧٧ ـ ٧٨)

وقد أحدثت جريدة « العروة الوثقى » التى كانت بمثابة **صور اسرافيل** ، ضجة هائلة فى كل الأوساط الاســـلامية ، ونفحت روح النهضة ، فى أجساد الدول الاسلامية •

وكانت وراء هذه الجريدة جمعية سرية ـ كمــا ذكرنا ـ منبثة فى جميع الاقطار الاسلامية ، يتم اختيار أعضائهــا من بين المسلمين المثقفين المتحمسين لدينهم ، ووضعت لهذه الجمعية السرية يمين يقسمها من يدخل فيها ، وقد ذكرنا نص اليمين آنفا ، ويتعهد بأن يطلب الوسائل لتقوية الاسلام ، عقلا ، وقدرة ، وأن يوسع معرفته بالعالم الاسلامى ، من كل نواحيه ، بقدر ما يستطيع ، واتخذت الجمعية السرية فروعا لها فى البلدان المختلفة ، يجتمع كل فرع منهــا لدراسة شئونه ، وفى آخر كل اجتماع يتبرع الأعضاء ، بشىء من المال ، فى صندوق صــغير ، له ثقب ضيق ، يضع فيه كل عضو ما تيسر له خفية ، حتى لا يعلم من أدى أقل ومن دفع أكثر ، وكان ينفق من هذا المال على جريدة العروة الوثقى ، والقائمين بها حيث كانت ترسل أكثر أعدادها بالمجان (١) •

وقد قال الامام المجــاهد الأستاذ رشــيد رضــا : سمعت أستاذنا الشيخ حسينا الجسر ، عالم سورية الوحيد فى الجمع بين العلومالاسلامية، ومعرفة حالة العصر السياسية ، يقول : ما كان أحد يشــك فى أن جريدة « العروة الوثقى » ستحدث انقــلابا عظيما فى العــالم الاسلامى لو طال عليها الزمان •

وسمعت محمـــد بك على المؤيد ، يقول : كنت فى بغــداد فى عهــد صـــدور « العروة الوثقى » ، وكانت ترسل الى الزعيم العربى الأكبر فى العراق ، السيد سلمان الكيلانى ، نقيب السادة الأشراف ، وكان يقول: كلما جاء عدد منها يوشك أن تقع ثورة من تأثير هــذه الجريدة ، قبل أن يجىء العدد الذى بعد هذا •

فلأجل هذا اضطربت الدول الأوروبية الاستعمارية ، وأصابهاذعر شديد ، خوفا من تألب البــلاد الاسلامية المستعمرة عليهــا ، فقلقت من اتساع نفوذ هذه الجريدة ، وأخذت تعمل لوقفها ، وتعطيلها وعدم وصولها الى المســتعمرات الانجليزية بكل وسيلة ، الأمر الذى أيدته فرنســا من جهتها ، حتى آذنت شمس هذه الجريدة بالغروب •

وكان المحل الذى يعمل فيه السيد جمال الدين مع زميله الشيخ

---

(١) من كتاب اعلام العرب ـ رشيد رضا للدكتور ابراهيم العدوى • ص (٦٩ ـ ٧٠) •

محمد عبده لتحرير الجريدة المذكورة ، عبارة عن حجرة ضيقة فى سطح منزل فى زقاق حارة « سيزوماتل » على مقربة م نميدان « المادلين » بباريس غير أن تلك الحجرة الضيقة كانت ملتقى شخصيات شرقية وغربية وكانت الصحف الفرنسية تنشر بعض المقالات بقلم السيد جمال الدين عن سياسته الشرقية ، وكانت أغلب الجرائد الانجليزية تقطف نبذا منها، خصوصا فى الوقت الذى كان فيه السيد مقيما فى باريس ، وكانت مباحثاته مع العالم الفرنسى المشهور « آرنست رينان » حول الاسلام والعلم لها أهمية عظيمة ، وفى نفس ذلك الوقت كانت مسألة المهدى فى السودان تشغل بال الانجليز كثيرا ، وكان السيد جمال الدين على اتصال بالمهدى ، فاتجهت نية الانجليز الى أن يكون السيد جمال الدين واسطة للصلح بينهم وبين المهدى •

« بريطانيا تعرض عرش السودان على السيد جمال الدين الأفغانى »

أرسلت بريطانيا الىالسيد جمالالدين الأفغانى اللورد «سالسبرى»، تدعوه باسم حكومتها لزيارة لندن ، لتسأله عن رأيه فى حركة « المهدى » فى السودان ، وفى ضمن هذا عرضت بريطانيا عليه عرش السودان قائلة: (انها تعلم مقدرته وتقدر رأيه حق قدره ، لأنها تريد أن تسلك مع الحكومات الاسلامية مسلك المودة والولاء لذلك تصورنا أن نرسلك الى السودان بصفة سلطان عليه ، فتستأصل جذور فتنة المهدى ، وتمهد لاصلاحات بريطانيا فيه) •

ولكن السيد « جمال الدين » رفض أن يقع فى الفخ البريطانى وسخر من العقلية الانجليزية التى لا تؤمن بأن فى الدنيا رجالا أحرارا أشرافا ماعدا جزيرتها ! قائلا : ان السودان ليس ملكا لبريطانيا حتى تتصرف فى عرشه (١) •

ومن هذا تظهر الأهداف السامية للسيد جمال الدين الأفغانى ، وهى أنه ما يريد من المكافحة جلب المنافع الشخصية ، والأعراض المادية، بل كان كفاحه لأجل خدمة الانسانية والشرق عن طريق المبادىء الاسلامية •

---

(١) من ص (٣٥) كتاب « العروة الوثقى » والثورة التحريرية الكبرى . الناشر : دار العرب .

غير أن ثورة السودان فشلت ، وبدأ الانجليز يبسطون سلطانهم على جنوب الوادى ، وأن ممالك الاستعمار توجهوا لمنع النشاط الذى بدأه السيد جمال الدين وأعوانه لقمع الاستعمار والاستغلال بحيل مختلفة فلأجل هذا دب اليأس الى قلوب القائمين بمهمة ايقاظ الشرق ، وانفض عن السيد معظم أنصاره ، وفى نفس التاريخ ارتحل محمد عبده ، الى بيروت ، وهناك حاول اصلاح نظم التعليم فلم يفلح ، وأيقن أن دولة آل عثمان غارقة فى بحار الجهل ، فزاد يأسا على يأس ، وقفل راجعا الى مصر ، فدخلها فى أوائل سنة ١٣٠٦ هـ ، وصمم على أن يحيا حياة بعيدة عن السياسة .

« خروج السيد جمال الدين من فرنسا واتجاهه الى ايران »

ضاق جمال الدين بالحياة فى فرنسا ، ولم يجد ثمة ما يدعوه الى البقاء فى عاصمتها ، فعزم على الرحيل مرة أخرى نحو الشرق ، لكى يجد سبيلا الى تطبيق أفكاره ، وأهدافه ، وذلك بعد أن تركه أتباعه وتلاميذه بسبب الدسائس الانجليزية ، وبينما كان يتأهب لمغادرة أوربا ، تلقى برقية من « ناصر الدين » شاه امبراطور العجم ، يدعوه الى بلاده ، فاتجه نحو ايران فى جمادى الاولى سنة ١٣٠٣هـ ، فلما بلغها قابل « ناصر الدين شاه » فى طهران فسأل الشاه السيد جمال الدين فى أثناء تلك المقابلة ماذا تطلب منى ؟

فقال السيد جمال الدين : أريد أذنين صاغيتين .

فاستغرب الشاه من تعقله وجرأته ، وعلى كل حال لقيه الشاه لقاء طيبا ، واحتفى به حفاوة كبيرة ، وأكرمه ثم نصبه وزيرا للحربية .

وما كاد الافغانى يقيم زمنا وجيزا فى طهران ، حتى عرف الناس قدره ، وعظموا فيه علمه وأدبه ، فأصبح محط الانظار ، وسارع اليه القوم والامراء والعلماء ، يترددون عليه ، ويستفيدون من مجلسه ، فقد وجدوه كثير الاطلاع فى مختلف أمور الحياة ، والخبرة بشئون السياسة ، وعرفوا أن عنده المعلومات التاريخية الوافرة الموثوقة ، وعلم أطوار المدنية والعمران ، وله احاطة بأساليب الحكم الحديثة ، وكذلك معلومات واسعة فى العلوم القديمة والجديدة وقدرة على الموازنة بين الاديان ، ثم عرفوا لديه قريحة جيدة ، ومقدرة بالغة على الاقناع ، ومنطقا قاطعا

حاسما ، وكان ذلك سببا لاقبال القوم عليه ومحبتهم له، فبقدر علو مكانته في قلوب الناس ، وبقدر تبجيلهم واحترامهم له ، كان القلق يعصف بقلب الشاه ، وقد كان ذلك في حقيقة الامر أول بادرة من بوادر النفرة بينه وبين ذوى الامر ، أينما ذهب أو نزل ، فأخذ ناصر الدين يتوجس من السيد جمال الدين الافغانى خيفة ، وأدرك السيد جمال الدين الافغانى خوف « ناصر الدين » ، وعدم رضائه باصلاحات القوم ، فطلب منه أن يأذن له بالخروج من ايران ، قبل أن يشتد الامر ، فأذن له ، وغادر الافغانى هذه البلاد الى روسيا .

« جمال الدين الافغانى فى روسيا »

ارتحل جمال الدين من ايران الى روسيا في سنة ١٨٨٦ م ، فلما نزل عاصمتها بطرسبورج (١) أكرمه القيصر . وقد مال الافغانى الى الذهاب الى روسيا ، لأنه ظن أنه يمكن أن يحطم مشروعات الاستعمار الانجليزى فى الشرق ، لو وقفت روسيا الى جانبه ، لأجل ذلك أخذ يكتب مقالات فى الصحف ، عرض فيها لبيان الاتجاهات السياسية فى بلاد أفغانستان ، وفارس ، والدولة العثمانية ، كما عرض أيضا بالنقد للسياسة الانجليزية وكانت أساس خطة السيد جمال الدين اعداد العدة لتوحيد البلاد الاسلامية ، وتخليصها من ربقة الاستعمار البريطانى ، فلأجل هذا عمل على أن يهيىء الوسائل ، لاثارة الحرب بين الروس والانجليز ، كما تقابل السيد جمال الدين الافغانى عدة مرات مع «زينويف» ، مدير وزارة الخارجية الروسية ، ولكن المدير المذكور أظهر عدم ميل الروس الى خوض معركة أخرى ، لأنهم كانوا قد انتهوا آنفا من حربهم مع العثمانيين ، كما يدل على عدم رغبته وميله نص عبارة السيد « جمال الدين الافغانى » بعد مقابلته ل « زينويف » كلما أرميه الى الهواء يقع كالقطة فوق الأرض . أى على يديه ورجليه ، يقصد من ذلك أن « زينويف » لا يتغير رأيه .

وهناك سبب آخر ، دعاه الى الالتجاء الى روسيا وهو محاولة تخفيف ما كان يشعر به المسلمون فى بلاد القيصر من عسف ، فقد كان فى روسيا ثلاثون مليونا من المسلمين تقريبا ، لا تحسن الحكومة الروسية معاملتهم ، فأراد أن يرفع الظلم عنهم ، فطلب السيد من حكومة روسيا

(١) لينينجراد الحالية .

أن تسمح لمسلميها بطبع المصحف ، ونشر بعض الكتب الدينية ، فأذنت لهم بذلك ، كما رغب القيصر فى رؤية السيد « جمال الدين » ودعاه الى قصره ، وفى ضمن المباحثات معه سأله عن أحوال ايران ، وعن سبب خلافه مع الشاه ، فأخذ السيد يقص عليه كيف يستبد الشاه بأمر رعيته ، وكيف ينفق باسراف وسفه ، ثم كيف لا يريد ادخال الحكم الدستورى فى بلاده ، فقال له القيصر : « اننى أرى الحق مع الشاه ، اذ كيف يرضى أى ملك من الملوك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته ؟ » فقال السيد له : « أعتقد يا جلالة القيصر ، أنه خير لعرش الملك أن يكون ملايين الرعية أصدقاء له بدلا من أن يكونوا أعداء ، يترقبون الفرص ، ويكمنون فى الصدور سموم الحقد ونيران الكراهية » .

وقد أدت هذه الصراحة والجرأة من السيد « جمال الدين » الى أن طلب القيصر الى حاشيته أن تعمل على ابعاد هذا الرجل ، وقد ذكر « جمال الدين الافغانى » : أنه مكث أربع سنوات فى « بطرسبورج » وأن « ناصر الدين » زار هذه المدينة فى أثناء اقامته بها ، ورغب فى لقائه فأبى أن يحقق رغبته ، ولما خرج من « بطرسبورج » ، اتجه غربا قاصدا « ميونخ » ، وهناك لحق به الشاه ، وطلب أن يلقاه مرة ثانية ، ومازال يلح فى الطلب حتى استجاب له ، وانتهى بأن قبل السفر معه . يقول : « عبد القادر المغربى » فى حديث ، سمعه من « جمال الدين الافغانى » قال السيد : « جئت (بطرسبورج) ، فمكثت فيها أكثر من أربع سنوات ، وفى خلال هذه المدة زارها الشاه وأحب الاجتماع بى ، فلم أرغب فى مقابلته ، ثم سافرت الى « ميونخ » من بلاد الألمان ، فجاءها الشاه أيضا ، فامتنعت عن مقابلته ، فتوسط بيننا بعض كبار الرجال الالمانيين ، وغيرهم ، فاجتمعنا ، وطلب منى الذهاب الى بلاده ، كى يجعلنى رئيس وزرائه ، فأبيت ، وقلت له انى متهيء للسفر الى باريس ، لمشاهدة معرضها لسنة ١٨٨٩ م ، ولكن الشاه أخذ يلح على الحاحا شديدا ، فلم أجد مناصا من اجابة طلبه ، والذهاب معه » قال السيد «جمال الدين» ومن جملة قول الشاه فى : «هذا الرجل السياسى الحربى ، اللائق أن يكون رئيس وزارة يقوم فيها بتدبير الأمة » .

« عودة السيد جمال الدين الافغاني الى ايران »

لما عاد السيد جمال الدين الى ايران ، كان اقبال الناس عليه في هذه المرة أشد منه في المرة الأولى ، وبدأ السيد الاصلاحات العامة وكانت خطبه وندواته ومقالاته كلها لأجل خير الشعب ومنافع العامة ، فطلب اليه رجال التشريع أن يضع لهم أسسا دستورية للحكم ، وأن يسن لهم قوانين ترد المظالم عن الناس ، وتقهر الحاكمين على احترامها ، لكي تحقق العدالة في هذه البلد الذي كادت تنمحي فيه معايير الحق والخير ، وكذلك رغبوا اليه أن ينظم الاداة الحكومية ، ويطهرها من مفاسدها ، وأن يخفف من وطأة التقاليد الجائرة ، وأن يشرع في ارساء قواعد الحكم النيابي ، الذي يحد من سلطان الشاه وجبروته ، حتى لا يسوق الوطن الى الخراب ، بسبب اتلافه وتبذيره ، وكان الحماس على أشده فيما يتصل بالاصلاح الدستوري ، غير أن الحال ما لبث أن تبدل ، وظهرت بوادر الشر ، وانطلق دعاة الرجعية يوقعون بين الشاه وجمـــال الدين ، وكان الصدر الأعظم « ميرزا علي أصغر خان » أكثر هؤلاء حقدا على الافغاني ، وذلك لأن الصدر الاعظم كان يخشي من مكانة الافغاني لدى الشاه ، فنصح الشاه ألا يتعجل في منح الحياة النيابية لشعبه ، لان هذا النوع من الحكم معناه نزع السلطة من يده ، أو التضييق عليه على الأقل .

وكان هذا الصدر الاعظم منصرفا الى منح الامتيازات الاقتصادية لكل من انجلترا وروسيا . يقول المخزومي في خاطراته عن « جمـــال الدين الافغاني» : قال الشاه للافغاني : «أيصح أن أكون ياحضرة السيد وانا ملك ملوك الفرس (شاهنشاه) كأحد أفراد الفلاحين» . فقال السيد:

«أعلم ياحضرة الشاه أن تاجك وعظمة سلطانك وقوائم عرشك ، ستكون بالحكم الدستوري أعظم وأنفذ وأثبت مما هي الآن ، والفلاح والعامل والصانع في المملكة يا حضرة الشاه أنفع من عظمتك ومن أمرائك ، واسمع لاخلاصي أن أؤديه صريحا قبل فوات وقته ، لاشك يا عظمة السلطان انك رأيت وقرأت عن أمة استطاعت أن تعيش دون أن يكون على رأسها ملك ولكن هل رأيت ملكا عاش دون أمة ورعية؟» . ثم أدرك الأفغاني ان مرحلة النضال أوشكت أن تبدأ ، فغادر العاصمة ، واتجه الى مكان يعظمـــه

الايرانيون وهو مشهد «عبد العظيم» شاه ، على مسافة اثنى عشر ميلا من طهران وكان هذا المقام ملجأ وحرما ، من دخله كان آمنا ، غير ان « جمال الدين » لم يلجأ اليه لكى يلزم الصمت ، فقد أخذ يثير الرأى العام ضد الشاه ، واستمر يلح فى الحديث عن ضرورة الاصلاح الدستورى ، الذى ستكون فيه نجاة ايران من الاستعمار ، وظل على أمره هذا ثمانية شهور وقيل سبعة شهور ، عظم فيها شأنه وخطره ، حتى أرسل «ناصر الدين» خمسمائة جندى بسلاحهم ، فهجموا على مقام «عبدالعظيم» شاه ، وقبضوا على « جمال الدين » رغم مرضه الشديد ، وأخرجوه من ملجئه ، وقاده خمسون منهم الى (خانقين) على الحدود العثمانية ، فى أوائل سنة ١٨٩١ ميلادية وقد قص الافغانى قصته فقال : وأما قصتى وما فعله هذا الكنود الظلوم معى ، فمما يفتت أكباد أهل الايمان ، ويقطع قلوب ذوى الايقان ، ويقضى بالدهشة على أهل الكفر وعباد الأوثان ، ان ذلك اللئيم ، أمر بسجنى وأنا متحصن بحضرة « عبد العظيم » عليه السلام ، فى شدة المرض على الثلج ، الى دار الحكومة بهوان وصغار وفضيحة ، لا يمكن أن يتصور دونها فى الشناعة (هذا كله بعد النهب والغارة) ... ثم حملنى زبانيته الاوغاد ، وأنا مريض على برذون مسلسلا فى فصل الشتاء وتراكم الثلوج والرياح الزمهريرية وساقنى جحفلة من الفرسان الى « خانقين » وصحبنى جمع من الشرطة .

« اقامة
السيد بالبصرة »

طرد السيد « جمال الدين » من ايران ، فى أوائل سنة ١٨٩١ م ، فلما بلغ البصرة أكرمه « هدايت » باشا والى البصرة ، وكان رجلا صالحا ، متقدما فى السن ، وقد أقام السيد بالبصرة نحوا من سبعة أشهر ، وفى تلك الفترة استأنف جهاده ضد «ناصر الدين» شاه ، وكان أول مافعل أن أخذ يحرض عليه رجال الدين ، فكتب الى «ميرزا محمد حسن» الشيرازى كبير مجتهدى الشيعة فى (سامراء) رسالة عظمه فيها كثيرا ، ثم أخذ يذكره بخطورة منصبه ، ومقامه فى النفوس ، بحيث لو أهمل شأن الأمة لحظة واحدة لاختلت المشاعر ، وارتجفت الأفئدة ، وانتكست العقائد ، ولذا فانه انما يكتب اليه لكى يؤدى الامانة التى فى عنقه ، وأخذ السيد «جمال الدين» يلفته الى حال ايران ، وبعد هذا كتب له مبينا أن كلمة واحدة من امام المجتهدين كفيلة بجمع شمل الأمة ،

وبالقضاء على هؤلاء الخونة ،ممن طفقوا يبيعون بلادهم بثمن بخس وذكر السيد « لميرزا محمد حسن الشيرازى » تدخل الانجليز فى مسائل ايران، وشئون الاقتصاد الايرانى ، وما لهم من الاغراض ، وفى الآخر كتب له : تلك هى الحال التى انتهت اليها ايران ، بفضل مليكها ، ووزيره الناصح الأمين ، فاذا لم يقم امام المجهتدين بعمل حاسم ، فستضيع ايران ، وتصبح حوزة الاسلام تحت سيطرة الأجانب ، ولو فاتته هذه الفرصة للوقوف فى طريق تلك الكارثة لما كان خليقا أن يترك بعده ذكرا حميدا ، فأثارت هذه الرسالة حمية الشيرازى ، وحركت غيرته ، فأصدر فتوى يحرم فيها تدخين التبغ ، الذى كانت انجلترا قد احتكرته منذ سنة ١٨٩٠ م ، وأرسل هذه الفتوى الى العلمـاء ، والوعاظ ، فأذاعوها ، وانصرف الناس عن التدخين ، واضطر « ناصر الدين » الى أن يفسخ عقد الشركة الانجليزية ، بعد أن عوضها بنصف مليون من الجنيهات ، وهكذا استطاع الأفغانى أن ينقذ ايران من احتلال انجلترا لها عندما أبطل أهم مقدمات هذا الاحتلال وهو السيطرة الاقتصادية .

ولما شفى من مرضه ، وصح وجوده ، رغب فى الذهاب الى جزيرة العرب ، لكن الوالى استمهله قليلا ، لكى يعلم رأى السلطان عبدالحميد، أيأذن « لجمال الدين » أم يحتجزه عنده ؟ وجاء الأمر من الآستانة برفض السفر ، فعلم الأفغانى أن المنع انما جاء من تركيا ، فعاد يطلب أن يؤذن له بالسفر الى انجلترا ، فاستمهله الوالى مرة أخرى ، حتى يرجع الى ذوى الأمر فى الآستانة ، فجاءه الاذن بالسفر ، فأسرع « جمال الدين » بالرحيل قبل أن ينقض هذا الأمر ، وكان محقا فى سرعته ، اذ مالبث أن جاء أمر آخر يحظر عليه مغادرة البصرة ، لكنه كان قد رحل .

ويقال ان الأفغانى لما أراد مغادرة البصرة لم يكن يملك سوى عشرة جنيهات ، فتشاور أعيان المدينة فيما بينهم الا يتركوه يرحل بهذا المال القليل ، وجمعوا له شيئا من العون بلغ خمسمائة جنيه ، تبرع الوالى بخمسين جنيها منها وقدم المال كله اليه ، فقبله من والى البصرة «هدايت باشا » ، لانه كان يحترمه ويبجله ، ولولا ذلك لأبت عليه همته أن يأخذ منه شيئا ، ثم قال له انى أرجو أن أرد اليك هذا الصنيع يوما ما ، ثم أتاحت له الأيام أن يحسن الى عائلة الوالى، وهو أن السيد «جمال الدين» الأفغانى فى أيام أن كان فى الآستانة ، للمرة الثانية زاره « عبد الحميد الرافعى » ، قاضى البصرة ، فسأله أول ما سأل عن «هدايت باشا » ، فأخبره : بوفاته ، ثم استفسره عن حال أهله فقال : هم فى ضيق المعيشة

فسعى السيد « جمال الدين » الأفغانى لأجل رفاهيتهم ، حتى سجل حفيد « هدايت باشا » فى سجل أبناء الاشراف ، والبيوت القديمة ، وخصص له ثلاثين جنيها شهريا ،كما استطاع أن يخصص لأرملته خمسين جنيها شهريا ٠

« جمال الدين الافغانى فى انجلترا »

ذهب السيد الى لندن ، وعنده أهداف ، هى أنه يريد أن يحـول الأفكار الاستعمارية للانجليز ، ويفهمهم بأن الخير لهم وللناس جميعا أن يؤيد الحق ، ويعم السلام ، وأيضا هو يريد أن يحقق الاتفاق ، والتعارف وحسن المعاشرة ، بين أهل الشرق والغرب ، لأجل هذا قد اشترك هناك فى تأسيس صحيفة شهرية سميت « ضـياء الخافقين » ، وكانت تصدر باللغتين العربية والانجليزية ، وقد نشرتها احدى الشركات الانجليزية ، التى زعمت أنها تعمل على تحقيق الاتفاق ، والتعارف ، بين أهل الشرق والغرب ، وظهر العدد الاول منها فى فبراير سـنة ١٨٩٢ م ونشر فى عددها الثانى الرسالة التى كان قد كتبها السيد « جمال الدين » ابان وجوده فى البصرة الى العلماء المجتهدين فى ايران ٠

وكتب السيد « جمال الدين » فى صحيفة « ضياء الخافقين » مقالا فضح فيه سوء الحالة الاقتصادية فى ايران ، ووصفها بأن الخراب يبسط ظله عليها ، فأهلها يسكنون من فقرهم دورا حقيرة ، بينما يقسو الحاكمون فى تعذيب رعاياهم ، ويستخدمون فى ذلك وسـائل همجيـة ، كجدع الأنوف ، وقطع الآذان ، وشق البطون ، وجز الرءوس ، الى درجة أن رؤية مثل هذه الافعال غدت شيئا مألوفا، فالحكم لا يسير على أساس من القانون ، أو العقل ، وانما مرجعه القهر والسيف ٠ فلما تدهورت الحالة السياسية والاجتماعية فى تلك البلاد ، اضطر أهلها الى الهجرة ، فاتجه فريق منهم نحو الولايات العثمانية ، وأبعد فريق منهم الى روسيا ، فاذا رأيت هؤلاء وهؤلاء ، وجدت قوما كانوا كراما فى بلادهم ، ثم أصبحوا يشغلون حرفا خسيسة ، ومزرية ، بين حمال ، وكناس . هذا الى أن من بقى منهم فى ايران كان يخضع لحكم الارهاب ، والفوضى ، والضرائب الباهظة وليس هناك دستور أو نظام أو قانون ، ويرجع ذلك الى أنه لم يكن لولاة الاقاليم رواتب محدودة ، فاستبد كل وال برعيته ٠

وانتشرت أساليب الرشوة ، كذلك لم يكن لأفراد الجيش أجر ، بل تركتهم الحكومة ومقدرتهم على السلب ، والاغتصاب ، ثم اختتم الأفغانى مقاله بقوله : « اليست هذه هى الأمة الفارسية ، التى أحيت العلوم فى العالم الاسلامى ، وأقامت الديانة على دعامة الحـق ، بقوة براهينهـــا ، وقومت اللغة العربية بعالى تصانيفها ؟ أسفا على هذه الأمة ! كيف أبادها الجور وبددها الظلم حتىسقطت عن عداد الامم العظيمة !! وكاد أن يندرس رسمها وينطمس اسمها .. أين العلماء ؟ وأين حملة القرآن وأين حفاظ الشرع والقائمون بأمر الأمة ؟ وأين نصراء الحق والعدل ؟ » .

وكان أثر هذا المقال وأمثاله شديدا فى نفس شاه ايران ، فبعث الى الأفغانى سفيره فى لندن ، يرجوه أن يكف عن أذاه ، غير أنه أساء اليه فى هذا الرجاء ، عندما عرض عليه مبلغا كبيرا من المال ، ثمنا لسـكوته عنه ، فكانت هذه سببا فى غضب « جمال الدين » ، وكان السيد قد قال فى جواب السفير :

انه لن يترك الشاه حتى يلقى ربه . وزاد جزع شاه ايران ، حتى لجأ الى سلطان تركيا ، يستصرخه ، فكتب الســـلطان عبد الحميد ، الى « رستم باشا » ، سفيره فى لندن ، أن يقنع الســـيد « جمال الدين » الأفغانى فى أن يكف السيد عن شاه ايران وأمرائه .

وفى تلك الأحوال جاء سفير تركيا فى لندن يوما الى السيد يحمل خطابا ، من السلطان « عبد الحميد » ، يقول فيه : اننا مشتاقون لزيارتكم ويطلب منه السفر الى الآستانة ، فاستفسر السيد من السفير عن سبب هذه الدعوة ، فأجابه السفير قائلا : ان « عبد الحميد » معتزم أن يؤسس بمعاونتكم ، ومساعدتكم الكريمة ، اتحادا بين الممالك الاسلامية ، وفضلا عن ذلك فانه يرغب فى الافادة من آرائـــكم الرزينة ، فى تدوين بعـض القوانين التى هو بصددها . ولكن لم تؤثر تلك المباحثـات ، والمطالب الرسمية على السيد .

وعندئذ لم يجد سلطان تركيا بدا الا أن يستخدم أحد رجال الدين للاحتيال عليه ، لأجل هذا قال السلطان لأبى الهدى (شـيخ الاسلام) فى تركيا أن يكتب الى السيد « جمال الدين » ، وأن يعده ويمنيه ، حتى يرضى بالمجىء الى الآستانة ، ولم يكن السلطان فى هذا الاحتيال مشفقا على شاه ايران ، بل كان الســـلطان « عبد الحميد » يخاف من خطره وتدخله ، فى توجيه السياسة فى دولته أيضا ، خصوصا بعد أن عـلم

« عبد الحميد » أن السيد اجتمع بنفر من رجال (حزب الفتاة التركى) فى « باريس » . حيث تشاوروا معه فيما يجب عليهم أن يفعلوه لاصلاح الدولة العثمانية ، فاذن كان السلطان يحرص على أن يحتفظ به على مقربة منه حتى يستطيع مراقبته •

« اتجاه السيد جمال الدين الى تركيا مرة ثانية وما حدث له هناك »

اغتر السيد جمال الدين بما كتبه اليه أبو الهدى ، لأن كتابته تعبر عن أهداف جمال الدين الافغانى ، وفيها مواعيد وتأييدات ، بأن تركيا — فى الوقت نفسه — مستعدة لنشر أفكار السيد ، وتطبيقها ، فلأجل ذلك سافر الافغانى الى تركيا فلما بلغ الآستانة احسن السلطان استقباله ، وأرسل ياوره الى استقباله ، فلما نزل الى الميناء ، سأله عن صناديقه فقال : ليس معى غير صناديق الثياب ، وصناديق الكتب ، فلما طلب الياور أن يدله عليها ، أشار الافغانى الى صدره ، وقال صناديق الكتب ها هنا ، وأومأ الى جنبه ، وقال : وهذه هى صناديق الثياب •

وعين السلطان لجمال الدين الافغانى مرتبا هو خمسة وسبعون جنيها شهريا ، وأنزله فى قصر جميل ، وخصص له عربة ، وحشما ، وخدما ، وكان بعض هؤلاء لخدمته ، وبعضهم يتجسس عليه ، ثم عرض عليه أن يزوجه باحدى كرائم الاسر ، لكنه لم يقبل • كما حكى عن السيد أنه قال : يريد السلطان أن أتزوج ، مالى والزواج انى ما تزوجت هذه الدنيا العظيمة الجميلة ، فكيف أتزوج بامرأة ؟

أخذ السيد يضع المناهج ، لاصلاح المدارس ، لتخريج جيل جديد ينهض بأعباء هذه الدولة الكبرى ، ويضع الأسس لانشاء جامعة اسلامية ، من تركيا ، والممالك العربية وافغانستان ، وايران ، وكان مقربا الى السلطان فى الفترة الاولى من اقامته ، يدخل عليه متى شاء ، ويصلى معه الجمعة ، ولكن لم يقبل جمال الدين ما كلفه به السلطان عبد الحميد من الوظائف ، والرتب ، مثل مشيخة الاسلام ، وكذلك لم يقبل النياشين ، معتذرا بقوله « ان وظيفة العالم ليست بمنصب ذى راتب ، بل بصحيح الارشاد والتعليم ، ورتبته ما يحسن من العلوم ، مع حسن العمل بالعلم •

وكان السيد جمال الدين ابان اقامته فى الآستانة ، يحيى ليالى شهر رمضان حتى أوقات السحور فى المحاورات العلمية ، والمذكرات الفلسفية ، مع المعارف ، والادباء ، والفضلاء ، وساسة الشرق ، فى دار الضيافة السلطانية (بمحلة التشويقية بنشانطاشى) •

وكانت صلات السيد بعبد الحميد قوية جدا ، فى ظاهر الامر ، ولهما اجتماعات خاصة ، حتى انه فى أحد اجتماعاتهما الخاصة التى جرت بينهما ، خاطب السلطان السيد بقوله : ان ملتمسى فى حضرتك ان تبذل غاية الجهد ، حتى نستطيع بتوحيد آرائنا ومساعدة حضرتكم أن ننشىء ونؤسس اتحادا ، واتفاقا قويا ، ثابت الاركان ، لا يقبل الخلل ، بين الشعوب الاسلامية ، حتى يمكن بفضل تلك الوحدة ، ان تمد أمم الجامعة الاسلامية يد المودة والاخاء ، بعضها الى بعض ، وتنهض بالصناعة والعلوم، فى ظل الاستقلال القومى ، والاتحاد الاسلامى ، ولكى يصل اليها التوفيق بعون الله تعالى ، لاسترجاع تلك القوة العظيمة السابقة ، ولا تتأخر عن ركب السعادة والرقى • ولما كان الهدف الاسمى الذى يرمى اليه السيد جمال الدين والغاية القصوى لأمانيه الاصلاحية من بدء حياته السياسية والاجتماعية ، أن يواصل جهاده لتحقيق هذا الغرض الذى أشار اليه السلطان فقد قبل السيد اقتراح السلطان بخالص السرور ، وغاية الترحيب وتعهد للخليفة أن يبذل قصارى جهده ، ويضحى بالروح فى سبيل هذا الهدف العظيم ، كما نهض منذ تلك الساعة بعزم حديدى . وارادة قوية كالجبل الراسخ ، بتنفيذ هذه المهمة العظمى •

وبعد عدة جلسات خاصة ، دارت بين السيد والسلطان فى الآستانة، آراء بشأن الوحدة الاسلامية ، اقترح السيد فى ضمن خططه : أن تنتخب حكومة كل بلد اسلامى ممثلا ، ويختار كل شعب اسلامى شخصا ، من أكبر علمائه ، ليجتمعوا فى الآستانة ، فى مؤتمر عال ، باسم « المؤتمر الاسلامى الاعلى » وكان غرض السيد من تشكيل هذا المؤتمر الاسلامى هو ايجاد تعاون بين المسلمين ، لنهضتهم ، وتكاملهم ، واستعادة السلطان الاسلامى وعظمته، فان اعتدت دولة أوروبية على مملكة اسلامية، يصدر هذا المؤتمر الاسلامى الأعلى أمرا بالجهاد المقدس ، لكافة المسلمين فى العالم ، فينهضون لمحاربة تلك الدولة ، بقوة السلاح ، فضلا عن وقف العلاقات التجارية والاقتصادية معها •

وبعد أن تم الاتفاق بين السيد والسلطان ، على المواضيع الآنفة الذكر ، أفضى السيد بهذا الحديث الى خواص رفاقه وأتباعه .

وقد ألقى السيد خطابا مؤثرا فى هذا المعنى ، وأطلع الحاضرين على حقيقة أهدافه •

« خطاب السيد جمال الدين الافغانى » (١)

« الديانة الاسلامية فى الوقت الحاضر هى بمثابة سفينة وربانها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وركاب تلك السفينة المقدسة كافة المسلمين ، خاصتهم ، وعامتهم •

وفى وقتنا الحاضر اشرفت هذه السفينة على الغرق ، فى بحر السياسة العالمية ، كما تعرضت لخطر الطوفان ، ولعل الحوادث الدبلوماسية والدسائس الدولية تؤدى الى اغراق هذه السفينة ، وتحطيمها فما حيلة ركابها ؟ وهى مشرفة على الغرق وما هو تدبيرهم ؟ فهل يجب على ركاب هذه السفينة أن يبذلوا جهدهم ، لحراستها وانقاذها من الطوفان والغرق ؟ أم يظلوا مختلفين فيما بينهم منبعين أغراضهم الشخصية ، وأهواءهم الذاتية » •

فأجاب الحاضرون : انه يجب على كل مسلم وطنى ، أن يبذل كل مافى وسعه لحفظ بيضة الاسلام ، ونجاة هذه السفينة المقدسة ، وتعهدوا جميعا أن يبذلوا كل أنواع المساعدة ، والا يضنوا بالتضحية فى سبيل تحقيق آراء السيد السامية ، وأخيرا توحدت كلمة السيد ، ومخلصيه ، وتلاميذه ، وزملائه ، فى القيام للعمل لأجل الوحدة الاسلامية •

وقرر السيد أن يكتب الى أكابر العلماء وزعمائهم المبادىء الاساسية مؤيدة بالدلائل القطعية ، والوثائق القوية ، فى رسائل موحدة المعنى ، وأن يكتبوا الى كل من يعرفونهم بشأن تلك الامور ، وأن يحثوهم على العمل فى سبيلها ، ولهذا حرروا ما يقرب من خمسمائة رسالة بالسنة مختلفة ، وأرسلوها الى كافة البلاد ، الى الهند ، ومصر ، والجزائر ، وطرابلس وبلاد الشام ، والحجاز ، وسائر الاقاليم الاسلامية • وعزم السيد على أن يوفد ستة أشخاص من رفقائه وأتباعه الذين يتكلمون اللغات الشرقية الى الاقطار المعنية ، للدعوة الى أهداف وحدة المسلمين • ولم تمض مدة حتى وصلت الردود الطيبة ، على كل تلك الرسائل ، من

---

(١) أخذته من الكتاب الذى ترجمه عن الفارسية صادق نشأت وعبد النعيم حسنين بعد ماوجدت تأييدا من منابع أخرى ص (١٠٠ ــ ١٠٦) •

قبل كافة الطبقات ، فى المجتمع الاسلامي ، سواء أكانوا من العلماء ، أم من غيرهم ، وتقبلوا الدعوة بقبول حسن ، وسرور ، بالغ ، وقد أرسل بعضهم هدايا ، وتحفا تاريخية ــ بواسـطة فيلسـوف الاسـلام السيد جمال الدين ــ الى السلطان عبد الحميد ، وكان بعضهم قد الحق برسالته أدعية وتعويذات للسلطان العثماني ، فأمر السيد بأن تترجم كل تلك المراسلات من الألسـنة المختلفة ، الى اللغة التركية ، وأن يرفق أصل كل منها بترجمته ، وحملها الى حضرة السلطان عبد الحميد • وقد سر السيد سرورا بالغا بنجاحه فى خدمة الاسلام ، وقرأ السلطان عبد الحميد كل تلك الرسائل فى دقة ، وهنأ السيد على ما حصل من التوفيق على يديه ، واستولت عليه الحيرة ، والتعجب ، من نفوذ كلمة السيد ونفاذ أمره فى هذا الامر الخطير ، فقال للسيد : الآن وقد وفقنا بعـون الله ومساعدة حضرتكم فى الحصول على الشطر الاعظم من مقصودنا ، فيجب علينا أن نبدأ المرحلة الثانية ، أى دور التنفيذ ثم قال السلطان : من المصلحة تحويل هذا الغرض المهم الى الباب العالى ، والصدارة العظمى ، وأن تجعل شيخ الاسلام متحدا ، ومتفقا معك فى هذا الشأن • فقبل السيد ثم بعد أن حولت خطة وحدة الاسلام والمسلمين الى شيخ الاسـلام ، والصدر الاعظم ، تغير لون موضوع الاتحاد الاسلامى بسبب الخلافات والمؤامرات التى نشأت ، وزادت الخلافات والمؤامرات يوما بعد يوم ، وفى غضون هذه الاحوال انتهز أعضاء حزب الفتاة بتركيا الفرصـة للمطالبة بالحكم النيابى •

ودعت هذه المسألة ــ نظرا لنفوذ السيد ــ الى تخصيص مايزيد على ثلاثة عشر الفا من رجال الشرطة السريين ، لمراقبة الشخصيات البارزة من الاجانب ، والمواطنين ، ووكلوا الى عشرة من الجواسيس ، تتبع حركات السيد جمال الدين بصورة خاصة ، وراقبوا أصدقاءه ، ورفقاءه، وأتباعه، مراقبة شديدة ، لكن مع هذا أخذ السـيد يتحدث الى السلطان عن الشورى ، وينصحه بالنصائح الاجتماعية والسياسية لمصالح العامة ، والسلطان يتظاهر بالاستماع اليه ، لكن فى الباطن يخاف من أهـداف السيد ، ونفوذه ، لأجل هذا تحرك الخلاف بين السيد وأبى الهدى ، حتى أن أبا الهدى يحاربه فى الخفاء ، ويصفه بالزندقة والكفر ، ومن ناحية أخرى كانت لهجة السيد صريحة وفيها جرأة كثيرة ، مما جعل السلطان يخاف منه خوفا كثيرا •

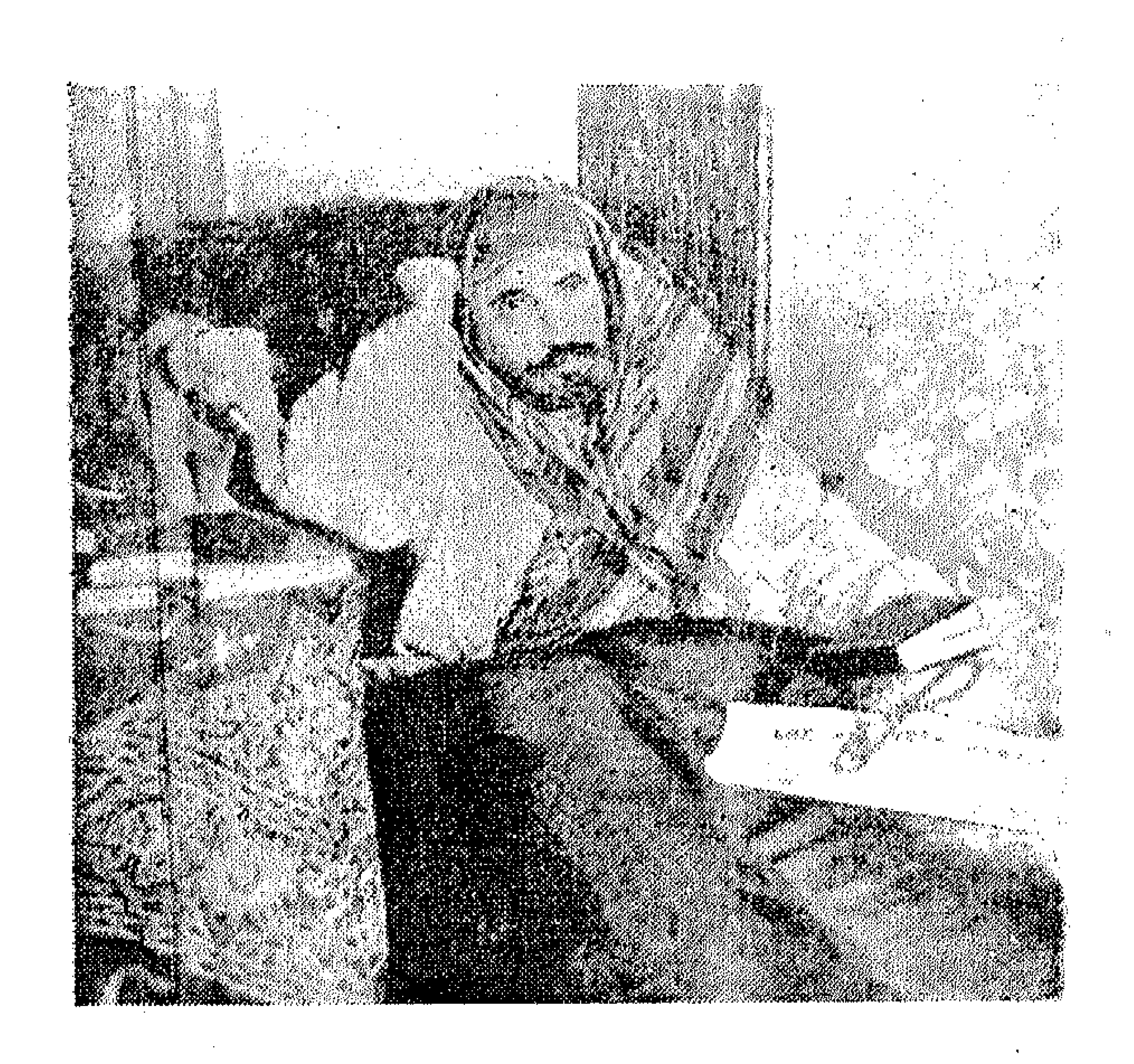
وكان السيد جمال الدين يذكر « ناصر الدين » شاه ايران فى مجالسه الخاصة ، ويقدح فيه ، فشكا سفير ايران من ذلك ، فطلب السلطان السيد

الافغاني ، وقال له : ان سفير العجم ترجاني في ان اتكلم معك في الكف عن الوقيعة في الشاه ، وأنا بناء على أملي فيك ، وعدته أن تكف عنه ، وكان ذلك بعبارة غاية في اللطف ، وكمال الدعة ، وكان في يد جمال الدين مسبحة فجمعها بكفه ، وقال بصوت جهوري : امتثالا لاشارة أمير المؤمنين فانا من الآن قد عفوت عن (الشاه ناصر) ، فقال السلطان : بحق يخاف منك الشاه خوفا عظيما • وخرج جمال الدين على عادته من حضرة السلطان الى حجرة رئيس القرناء ، فقال الرئيس له بلطف : يا حضرة السيد ان اجلال السلطان لحضرتك لم يسبق له مثيل ، واليوم رأيناك تخاطبه بلهجة غريبة ، وأنت تلعب بالمسبحة في حضرته . فقال جمال الدين ـ سبحان الله ـ ان جلالة السلطان يلعب بمقدرات الملايين من الامة على هواه ، وليس من يعترضه منهم ، أفلا يكون لجمال الدين حق أن يلعب بمسبحته كيف شاء ؟. فترك رئيس القرناء حجرته مهرولا خائفا،من هذا الكلام بهذه اللهجة ، خشية ان يوشى به لدى السلطان • والسيد جمال الدين لم يكف عن الطعن في شاه ايران والتحريض عليه الا بعد أن أنزله لحده كما أقسم من قبل • قيل انه لقي السيد في الآستانة أحد رفاق سجنه في ايران ، أيام أن غضب عليه الشاه ، فجعلا يتحدثان عن بؤس ايران ، وما حل بأهلها ، بسبب جور أميرها ، وسفه بطانته ، وقد أثرت هذه الصحبة في أعماق قلب رفيقه ، وهو « محمد رضا اغا خان » وقال اني حاضر لأقدم نفسي فداء لايران. ويقال ان الافغاني وافقه على مانوى، وذهب محمد رضا الى ايران ، واغتال الشاه في مشهد عبد العظيم شاه في ١١ مارس سنة ١٨٩٦ م وقال له وهو يطعنه :

« خذها من يد جمال الدين» ولما جاء نبأ الاغتيال الى الآستانة لم يخف الافغاني ارتياحه له بل يقال انه أظهر سروره ، وجعل يمدح قاتل الشاه (١) ، ولم يكد السلطان عبد الحميد يسمع بهذا النبأ حتى زاد فزعا من السيد وأمر بمضاعفة الرقابة على ضيفه ، حتى لايفتك به أيضا ،

(١) ذكر في مجموعة الثلاثين من جريدة (تام) في باريس ، أن مراسل جريدة (تام) في الاستانة طلب يوما مقابلة السيد بعد مقتل « ناصر الدين شاه » ، وسأله : ما رأيكم فيما ينسبه البعض أليكم من التحريض على قتل ناصر الدين شاه فاجابه السيد في حدة وغضب : « انى لم اتنزل الى هذا الحد بأن الوث يدى ، بالاشتراك في أعمال شغب دنيء وضيع كهذا ، فتبا لهؤلاء القوم وتبا لمليكهم » .

على كل حال سواء وقع من السيد التحريض على قتل «ناصر الدين شاه» أم لم يقع ، وسواء وافق السيد على مانوى محمد رضا اغاخان من قتل شاه ايران أم لم يوافقه فان الذى لاشك فيه أن السيد أظهر سروره بقتله .



(هذه صورة السيد بعد العملية الجراحية)

وأصبح جمال الدين سجينا في قصره ، وأحس بمرارة هذه العزلة ، فارسل الي مستشار السفارة الانجليزية في تركيا ، يطلب اليه أن يعمل على اخراجه من الآستانة (١) ، فلما علم السلطان بعزمه واقدامه ، أرسل اليه يستعطفه ، باسم الاسلام ، ألا يلجأ الي حماية دولة أجنبية ، وثارت حمية الافغاني مرة أخرى ، ورضي بسجنه ، وأخبر المستشار الانجليزى ، أنه عدل عن السفر ، وبعد عدة أشهر ظهرت عليه اعراض مرض السرطان ، في فمه ، فأجريت له عملية جراحية ، اخفقت ، ويقال انها أخفقت عن قصد ، وتوفى في صبيحة يوم الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧ م (في ٥ شوال سنة ١٣١٤ هجرية) — انا لله وانا اليه راجعون — (٢) .

وقد شيعت جنازته بالاحتفال اللائق ، ودفنت جثته في قرافة « شيخلر مزارلقى » أى مقبرة المشايخ . لكن ذكر « المقطم » في عدد ١٨ مارس من السنة التي مات فيها الافغاني ، انه لما تحقق اتباع السلطان من موت جمال الدين صدرت الاوامر بضبط أوراقه ، وسائر تركته ودفن كما يدفن الرجل العادى ، ومما يؤسف له أن قبر الافغاني بعد مدة كان في مرتبة النسيان ! ، حتى كشف عنه أحد المستشرقين الامريكيين ، وبنى عليه مقبرة وكتب هذه الكلمة على أحد جوانبها « انشأ هذا المزار ، الصديق الحميم للمسلمين . في أنحاء الأرض ، العالم الخير الامريكاني ، المستر « شارلس كرين » سنة ١٩٢٦ م » . (٣)

ثم فطن العالم الاسلامي — بعد سنوات عديدة — الى ضرورة تكريم هذا الرجل ، الذى وهب حياته فداء للاسلام والشرق ، فرأى المسلمون أن يحتفلوا به ويحيوا ذكراه ، فنقلوا رفاته الى بلاد الافغان في سنة ١٩٤٤ ، ودفن هناك في مدينة (كابل) عاصمة افغانستان ، في منطقة (على أباد) ، وبنى عليه بناء عظيم الشأن .

وكان السيد جمال الدين الافغاني في أيام يأسه في الآستانة — يذكر مصر والمصريين كثيرا ، ويقول « ان مصر احب بلاد الله الى ، وقد تركت لها الشيخ محمد عبده طودا من العلم الراسخ ..»(٤) وقد روى

---

(١) وانما رجع الى سفارة بريطانيا ، ليتم رسالته ، لعلمه أن دولة تركيا ، وحكومة عبد الحميد ، لا يمكن أن تتحول عن قسوتها ، وظلمها له في حبسه ، الا اذا جعل السفارة الانجليزية وسيطا له .

(٢) لبث السيد في الاستانة في هذه المرة أربعة أعوام .

(٣) جمال الدين الافغاني (دكتور محمود قاسم) ص (٨٤ ، ٨٥) .

(٤) أعلام الاسلام — محمد عبده — لعثمان أمين . ص (٣٦ — ٣٧) .

عن المخزومي باشا ، الذى عاشر السيد الافغاني ، ولازمه فى استنبول ، أن السيد كان شديد الاعجاب بشخصية محمد عبده ، كثير الثنــــاء على اخلاقه ، فكان كلما ذكره يقول «الصديق» أو « صديقى الشيخ » والظاهر ان ذلك أثار بعض الغيرة فى قلب « السيد عبدالله النديم » ، وكان ممن يرتادون مجلس جمال الدين فقال ذات يوم : « ايها السيد ما غفلت مرة عن اضافة لفظ « الصديق » الى الشيخ كأنه لم يكن لك بين الناس صديق غيره ، اذ نراك تنعت من سواه بلفظ « صاحبنا » أو « فلان من معارفنا » فتبسم عند ذلك جمال الدين ، وقال : « وأنت يا عبد الله صديقى ، ولكن الفرق بينك وبين الشيخ محمد عبده ، أنه كان صديقى على الضراء ، وأنت صديقى على السراء ، فسكت « عبدالله النديم » (١) .

كتب الاستاذ « احمد امين » فى كتابه « زعمــاء الاصلاح فى العصر الحديث » ما نصه :

لقد قصدت الآستانة ســنة ١٩٢٨ م ، بعد وفاته باحدى وثلاثين سنة ، فرأيت واجبا أن أزور قبر هذا الرجل العظيم ، واستعيد عنده ذكرى عظمته ، وسلسلة أعماله ، فسألت عنه الكثير ، فلم يعرفه ، ورأيت رجلا افغانيا ، يعمل خازنا لمكتبة الشــهيد « على » ، فوصف مكانه لى ، فذهب معى صديقى « العبادى » ، عصر يوم الاحد (٨ يوليه) الى «ماجقة» أو « متشكة » ، فوجــدت فى ربوة على مدخل « البوســفور » ، مقبرة قد انتثرت فيها المدافن ، ودلنا شيخ المقبرة على مدفن السيد ، فعلمنا أن قبره كان قد تشعث ولم يعن به أحد ، وكادت تضيع معالمه ، ولم يفكر فيه أحد من أهل الشرق الذين أفنى فيهم حياته ، وانما ذكره مستشرق أمريكى ، حضر الى الآستانة سنة ١٩٢٦ م ، ونقب عن قبره ، حتى وجده فبنى عليه تركيبة جميلة من الرخام ، وأحاطها بسور من حديد ، وكتب على أحد وجوه التركيبة اسم السيد وتاريخ ولادته ووفاته ، وفى وجه آخر كتابة تركية ، ترجمت لنا كما يأتى : « انشأ هذا المزار ، الصديق الحميم للمسلمين ، فى انحاء العالم ، الخير الامريكانى ، المستر « شارلس كرين » سنة ١٩٢٦ م » وقفنا على قبره وقلت : هنا رقد محيي النفوس ، ومحرر العقول ، ومحرك القلوب ، وباعث الشــعوب ، ومزلزل العروش ، ومن كانت السلاطين تغار من عظمته ، وتخشى من تساله ، وسطوته ، والدول ذات البنود (٢) تخاف من حركته ، والممالك الواسعة الحرية تضيق نفسا بحريته .

---

(١) أعلام الاسلام ــ محمد عبده ــ لعثمان أمين . ص (٢٦ ــ ٢٧) .

(٢) البنود : الرايات .

هنا خمد من كان يشعل النار حيث كان ، في الافغان ، في مصر ، في فارس ، في باريس ، في لندن ، في الآستانة • هنا باذر بذور الثورة العرابية ، ومؤجج النفوس للثورة الفارسية ، ومحرك العالم الاسلامي كله لمناهضة الحكومات الاجنبية ، والمطالبة بالاصلاحات الاجتماعية • هنا من حارب الحكم الاستبدادي في مصر ، وناصر الدين ، في فارس ، وانجلترا ، وباريس ، وحارب الجهل ، والامية ، والذلة ، في الشرق ، والجاسوسية والنفاق ، في الآستانة ، ولم ينتصر عليه شيء الا الموت (١) •

« حلية السيد جمال الدين الأفغاني »

قال الامام محمد عبده : « كان السيد جمال الدين متوسط القامة ، قمحي اللون ، عصبي المزاج ، عظيم الرأس دون افراط ، عريض الجبهة في تناسب ، واسع العينين ، ضخم الوجنتين ، رحب الصدر ، جليل المنظر ، هش (٢) بش عند اللقاء » وزاد البعض فقال : كان ذا أنف متزن جميل ، كما كانت ذقنه ضخمة ، كان ذا شفتين غليظتين ، ولحية كثة في نهايتها ، خفيفة في العارضين •

« لقد كان لعينيه بريق عجيب كأنه بريق النور الشديد في حلكة الظلام » •

وأيضا قالوا :

انه قوى الجسم ، قمحي اللون ، كعرب الحجاز ، وكانت عيناه الواسعتان تنبعث منهما الجاذبية والسحر •

« عادات السيد جمال الدين الافغاني »

كان السيد لا يهتم بأمر الدنيا ، ولم يتزوج ، وكانت حياته بسيطة جدا • ويرتدي دائما احسن الملابس ، ويلبس على الاكثر الملابس الافغانية ، في بلاد الافغان ، والهند ، ومصر ، وأوروبا ، ويلف حول قلنسوته قماشا ابيض ، دليلا على شرفه • ورغم انه قضى شطرا كبيرا

---

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص (١١٥ - ١١٦) •

(٢) طلق الوجه •

من عمره فى أوروبا ، فانه لم يأخذ بعاداتها ، وتقاليدها ، وكان يتناول الشاى بكثرة ، ويدخن لفافات التبغ ، وكان ملما بأغلب العلوم ، واللغات ، ويتكلم اللغات الافغانية ، والفارسية ، والعربية ، والتركية ، والهندية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والروسية ، وكان يعلم كل قوم بلغتهم .

وكان حريصا مدة اقامته فى الآستانة على نظافة ملابسه ، وملتزما لشرائط الصحة ، فكان يقلل من تناول الطعام ، وكانت رغبته فى الحوامض فوق ميله الى الحلو ، وأنه يأكل بيده ، بينما يتناول اضيافه طعامهم (بالشوكة والسكين) ، اذ لم يكن يأبه بعادات أهل زمانه وآدابهم فى هذا الباب .

« أخلاق السيد »

أما اخلاقه فقد اجملها تلميذه الاستاذ محمد عبده بقوله (١) :
« اما اخلاقه فسلامة القلب سائدة فى صفاته ، وله حلم عظيم ، يسع ما يشاء الله ان يسع ، الا أن يدنو منه احد للمس شرفه ، أو دينه ، فينقلب الحلم الى غضب ، وهو كريم ، يبذل ما بيده ، قوى الاعتماد على الله ، لا يبالى ما تأتى به صروف الدهر ، عظيم الامانة ، سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه ، طموح الى مقصده السياسى ، اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير ، للوصول اليه ، وكثيرا ما كان التعجل علة الحرمان » .

ويذكر محمد المخزومى باشا عن اخلاق جمال الدين ، فهو يخبر بأن جمال الدين كان مهيبا أكثر من أن يكون محبوبا فى الوهلة الاولى ، وكان شجاعا جريئا كريما ، بل ربما بلغ كرمه درجة الاسراف ، وكان متواضعا مع من هو أقل منه مرتبة ، وربما بلغ التواضع به درجة التذلل الظاهرى ، لكنه كان متكبرا مع الملوك ، والعظماء ، الى حد التجبر ، وتلك فى الحق صفة الرجل الكريم ، الذى يضعف امام الضعيف ، ويشتد أمام القوى ، وكان حاد الذهن ، قوى الحجة ، نافذ النظر ، يجذب مخاطبه اليه ، كما كان عظيم النفس ، كبير الهمة ، محبا للخير . وقد قيل فى حق السيد : ان صراحته فى الدعوة الى آرائه ، وجرأته فى التعبير عن تلك الآراء ، حالت دون نجاحه فى كثير مما وجه همته الى تحقيقه ، فانه كان

---

(١) الحق : أن أخلاق السيد كما ذكرها الاستاذ محمد عبده اتفق عليها كل تلاميذه وان الكتب التى كتبت عنه متفقة عليها .

يضيق ببطانة السوء ، وخيانة الامراء ، وكان يغضب لتحـــالف رجال الدين الرسميين مع الطغاة ، فكان لا يستطيع بجبلته وخلقته الا أن يجابه كلا بحقيقته ، وعندئذ يكثر اعداؤه ، والكائدون له • ويذكر المحققون من تلاميذه ، أن صراحة السيد في الحق ، كانت سببا فى نجاح دعوته العامة بعد موته ، اذ أن السيد لو فعل كما يفعل غيره من الشيوخ من المداهنة ، والصمت في موضع اظهار الحق ، لخفت صوته ، وماتت دعوته ، ولما خلفه فيها تلاميذ يدعون بها• وكان للافغانى قدرة عجيبة فى الاستحواذ على قلب من يستمع اليه ، وهى تلك القدرة التى طالما غبطها عليه محمد عبده ، الذى يعترف لنفسه بالعجز عن مماثلة استاذه ، اذ كان الشيخ محمد عبده تؤثر فيه حالة المجلس ، والظروف التى تحيط به ، فلا يجد دافعا الى القول الا اذا وجد من محادثيه استعدادا لسماعه ، بينما كان جمال الدين يلقى الحكمة لمن يريدها ، ولمن لا يريدها ، ويجذب مخاطبه الى ما يريده هو ، وان لم يكن المستمع اليه على أهبة لما يلقى اليه ، فكأن به قوة مغناطيسية ، أو طاقة روحية كبرى •

ويمكن تفسير ذلك بأنه كان صاحب ذكاء نادر ، وقريحة نافذة ، وقدرة عجيبة على تحليل المعانى ، والتعمق فيها ، واستقصاء دقائقها ، وعرضها بعد ذلك عرضا هينا يسيرا على العقول ، فلا يدع ســبيلا الى ريب ، وهذا ما يسجله محمد عبده ايضا ، عندما يقول : « له سلطة على دقائق المعانى ، وتجديدها ، وابرازها فى صورها اللائقة بها ، كأن كل معنى قد خلق له ، وله قوة فى حل ما يعضل منها ، كأنه سلطان شديد البطش ، فنظرة منه تفكك عقدها ، وكل موضوع يلقى اليه يدخل للبحث فيه ، كأنه صنع يديه ، فيأتى على اطرافه ، ويحيط بجميع اكنــافه ، ويكشف ستر الغموض عنه ، ليظهر المستور منه ، واذا تكلم فى الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها ، ثم له فى باب الشعريات قدرة على الاختراع ، كأن ذهنه عالم الصنع والابداع ، وله لسن فى الجدل ، وحذق فى صناعة الجدل لا يلحقه فيها أحد ، الا أن يكون من لا نعرفه » •

وروى عنه أن أحد كبار الاوروبيين جعل يجادله ، ويفاضل بين الشرق والغرب ، فأفحمه الافغانى بقوله : « كفى بالشرق شرفا ، أن قام منه رجل ما زالت تعبده أمم أوروبا حتى اليوم » ويريد به المسيح عليه السلام •

ولقد قص عنه سعد زغلول (١) ، أنه ذكر لهم فى أحد مجالسه ،

---

(١) من كتاب دكتور محمود قاسم ص (٩٠) •

أنه كان فى سفينة خيف عليها الغـرق ، فرأى الصـبية ، والنسـاء ، وضعاف القلوب ، من الرجال يضطربون ، فأخذ يؤكد لهم أن السفينة لن تغرق فى هذه السفرة ، ثم قال : ان هؤلاء القوم ظنوا بى القداسة ، عندما رأونى بعمامتى الخضراء ، فحسبوا اننى من دراويش الهند ، ممن يعلمون الغيب • مع أن الامر لا يعدو أن يكون غـاية فى اليسر ، اذ لو غرقت السفينة لم أجد منهم أحدا يكذبنى ، وان سلمت ظفرت بالقداسة من أقرب سبيل •

« الفكرة المحركة للسيد جمال الدين الافغانى »

قال السيد : أول نظرة نظرتها فى الكون وأخفقت فيهـا ، اننى وضعت الكرة الارضية بين يدى ، وقستها ببعض الاجرام ، فرأيت منها ما يكبر الأرض بمئات الملايين من المرات ، ثم تمعنت فيمـا حوته من الحيوان الناطق « الانسان » فوجدته لا يتجاوز الالف وخمسمائة مليون تقريبا ، وهو مقدار زهيد بالنسـبة لسطح الأرض ، ثم افترضت ذلك الجرم الذى يكبر عن الارض بمائتى مليون مرة لو ان الرجل هناك يعيش الف سنة وان ذلك الرجل صاحب أراض واسعة فيه ، فتخيل لى انه يملك من الاراضى ما مساحته مساحة الكرة الارضية ، وان أولاده واحفاد احفاده من الممكن ان يبلغ عددهم اذا ازدوج بمئات النساء مع طول العمر عدد أهل الارض هذه أو ما يزيد ، فاذا صح مع هذا الخيال ان تكون الارض برمتها ملكا لرجل فى قرية من جرم المريخ مثلا ، ونسله عدد اهل الارض ، هل يكون بين تلك القرية الذين هم ابناء رجل واحد مثل ما هم عليه أهل هذه الكرة من الاختلافات ؟

أجابنى الخيال : كلا بل يكون أهل القرية آمنين مطمئنين ، لاتحاسد بينهم ، ولا هم يحزنون ، يغرسـون ، ويزرعون ، ويجنون فيأكلون • لا يعرفون للحرب معنى ، اذ لا ملك عليهم وليس بينهم اولو مطامع •

ملك شاسع وأسع ، وخيرات مما يشتهون ، ويعبـدون مع ابيهم صاحب القرية الها واحدا ، خالق الكل ، ومبدع الكائنات ، ثم رجعت لاهل جرم الارض وبحثت فى اهم ما هم فيه يختلفون ، فوجدته (الدين) فأخذت الاديان الثلاثة ، وبحثت فيها بحثا دقيقا مجردا عن كل تقليد ، منصرفا عن كل تقييد مطلقـا للعقـل سراحه ، فوجـدت بعد كل بحث وتنقيب وامعان ، ان الاديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية بعد

كل بحث وتنقيب وامعان ، على تمام الاتفاق فى البدأ والغاية ، واذا نقص فى الواحدة شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية واذا تقادم العهد على الخلق وتمادوا فى الطغيان ، واساءت الكهان فهم (النـــاموس) أو أنقصوا من (جوهره) أتاهم رسول بارفاد وتأييد فأكمل لهم ما أنقصوه واتم بذاته ما اهملوه وعلى هذا لاح لى بارق أمل كبير ان تتحـــد اهـــل الاديان الثلاثة ، مثل ما اتحدت الاديان فى جوهرها وأصلها وغايتها ، وان بهذا الاتحاد يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة فى هذه الحياة القصيرة وأخذت أضع لنظريتى هذه خططا ، واخط اسطرا ، وأحبر رسائل للدعوة كل ذلك وانا لم اخالط اهل الاديان كلهم عن قرب وكثب ولا تعمقت فى اسباب اختلاف ـ حتى اهل الدين الواحد ـ وتفرقهم فرقا وشـيعا وطوائف ، ولكن لما علمت ان دون اتحاد اهل الاديان تلك الهوات العميقة ، وأولئك المرازبة (١) الذين جعلوا كل فرقة بمنزلة (حانوت) ، وكل طائفة كمنجم من مناجم الذهب والفضة ، ورأس مال تلك التجارات ما احدثوه من الاختلافات الدينية والطائفية والمذهبية على حد قول الشاعر :

قد يفتح المـرء حانوتا لمتجـره	وقد فتحت لك الحانوت فى الدين
صيرت دينك شاهينا تصيد به	وليس تفلح اصحاب الشـواهين

علمتُ ان اى رجل يجسر على مقاومة التفرقة ونبذ الاختلاف ، او انارة افكار الخلق بلزوم الائتلاف رجوعا الى اصول الدين الحقة ، فذلك الرجل هو فى عرفهم الكافر الجاحد المارق المخـردق المهـرتق (٢) المفـرق .. الخ . ولما انتهى بى العلم الى ذلك الحد انقلبت افراحى بالخيال اتراحا ، ورجعت عن نظريتى والخيبـة ملء اهـابى وجبتى ، ثم جمعت ما تفرق من الفكر ، ولمت شعث التصور ، ونظرت فى الشرق وأهله ، فاستوقفتنى الأفغان ، وهى اول ارض مس جسمى ترابها ، ثم الهند ، وفيها تثقف عقلى ، فايران بحكم الجوار والروابط ، واليها كنت صرفت بعض همتى ، فجزيرة العرب ، من حجاز مهبط الوحى ، ومشرق انوار الحضارة ومن يمن وتبابعتها ، وأقيال حمير فيها ، ونجد ، وعراق ، وبغداد وهارونها ومأمونها ، والشام ودهاة الأمويين فيها ، والاندلس وحمراؤها ، وهـكذا كل صقع ودولـة من دول الاسلام فى الشرق ، وما آل اليه امرهم فيه اليوم .

---

(١) المرزبان : رئيس الفرس او الفارس الشجاع المقدم على القوم ، وهو دون الملك فى الرتبة وجمعه مرازبة (من المعجم الوسيط) .

(٢) تعبير مسيحى تطلقه الكنيسة على كل من خرج على تعاليمها .

فالشرق ! الشرق !

وقد خصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه ، وتحرى دوائه فوجدت أقتل ادوائه وما يعترض في سبيل توحيد الكلمة فيه داء أنقسام اهليه ، وتشتيت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف فقد اتفقوا على الا يتفقوا ، ولاتقوم على هؤلاء القوم قائمة . (١)

هذا هو مجمل الفكرة التى حركت السيد « جمال الدين » الى فعل ما فعل . ويظهر منها ان افكار السيد وصلت الى درجة انه يفكر فوق ظلمة البشرية ويأمل ان يكون الانسان متصفا بصفات الملكية وانه ضاق صدره فيما دار بين الناس من المفاسد والاختلافات، لاجل هذا هو يحاول أن يفهم أهل المذاهب والاديان ان الاديان السماوية لا اختلاف بينها فى أصل ارادة تكميل الرسالة الانسانية . وايضا اقر السيد فى هذه المقالة بأصله ونسبه وقال : « ان الافغـان اول ارض مس جسمى ترابها » ثم اظهر بعد علمه وسياحته وتجـاربه انه متألم لما آلت اليه الدول الاسـلامية فى الشرق من الضعف والتدهور ومتأثر به حتى انه قال فى حق الشرقيين ، قد اتفقوا على الا يتفقوا .

لكن مع هذا ادى السيد « جمال الدين » فى حياته وظيفته فعمل على توحيد كلمة المسلمين والشرقيين ونبههم الى الخطر الغربى المحدق بهم .

« العلة الحقيقية لسعادة الانسان »

قال حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغانى : تحت عنـــوان « العلة الحقيقية لسعادة الانسان » ما يلى (٢) : ان الممكن بالامكان الخاص (وهو الذى لا يلزم من وجوده ولا من عدمه محال) يكون وجوده بوجود علته ، وعدمه بعدمها .

ولا ريب فى أن السعادة من الماهيات الممكنة بالامكان الخاص ، وانها العلة الغائية لحركة كل فرد من أفراد الانسان ، حسية كانت تلك الحركة، أو معنوية ، اذ لو لوحظت مساعيه آناء الليل وأطراف النهار ، وأخـذه بوسائل الحرف من زراعة وصناعةوتجارة ، وسعيه فى تحصيل العلوم

---

(١) من كتاب صيحة جمال الدين الافغانى لمحمود أبو رية (ص ٢٧ ــ ٣٠) .

(٢) من كتاب صيحة جمال الدين ص (٦٠ الى ٦٨) وأصـــل المرجع جـريدة مصر التى كانت تطبع في الاسكندرية وكانت مظهر افكار السيد وتلاميذه .

والفنون ، وارتكابه المصاعب في نيل المراتب والمناصب ، لما وجد لهـــذه من باعث أو داع سوى طلب السعادة ، مع أنك لا تجد من نالها ، أو دنا منها ، وما ذلك الا لعدم تحقق علتها • فعلينا أن نبحث عن تلك العلة ، وعن الاسباب التى أوجبت عدم تحققها ، حتى يتبين وجه ضلال طلاب السعادة عن أن يصيبوها فنقول :

« ان بين السعادة والصحة شبها كليا ، فكما أن صحة الجسم هى نتيجة ومعلولة للتنـــاسب الطبيعى بين أعضاء ذلك الجسم وجوارحه ، وكمال الاعتدال فيما تكونت عنه تلك الاعضاء ، وحسن قيام كل عضو منها بأداء وظيفته ، مع مراعاة اللوازم والشروط الخارجية من الزمان ، والمكان ، والمطعم ، والمشرب ، والملبس ، فيكون زوالها لزوال هـــذه الأمور كلها أو بعضها •

كذلك سعادة الانسان هى معلولة للتناسب الحقيقى ، في الاجتماعات المنزلية ، وقيام كل من اركان المنزل باداء وظيفته ، وللتعادل التام فى الائتلافات المدنية ، بأن يكون للمدنية من الحرف والصنائع ما يكفيهـا مئونة الافتقار من دون نقص أو خروج عن حد حاجتها ، مع حسن التعامل بين أرباب الصنائع ، وأن تكون أحكامها تحت قانون عدل يتساوى فيه الصغير والكبير ، والامير والمأمور ، وللارتباط العادل بين الدول ، بأن تقف كل دولة عند حدها ، ولا تتعدى على حقوق غيرها ، وأن تمهد سبيل التواصل بينها وبين باقى الدول ، لكمال التعاون والتآزر ، وانتفاع كل من الآخر ، فيكون الحصول على السعادة بحصول تلك الامور ، وفقدها لفقد جميعها أو بعضها •

وهذه الامور وان كانت ممكنة الحصول ، الا أن هناك مانعـــا من الوصول اليها ، وهو اعتقاد كل كمال نفسه ، ونقص غيره ، ونظره الى أفعاله بعين الرضا ، والى أفعال غيره بعين السخط ، وزعمه أنه ما حاد عن حد الاعتدال ، ولا أخل بشيء من واجباته وشئونه ولا تقاعدت همته عن أداء وظائفه فى العالم الانسانى ، ويتمحل لاثبات ذلك بما تسول له نفسه من الحجج والبراهين ، وان أصابه العناء ، ونزل به الشقاء ، حسبهما من تهاون الغير فيما يلزمه ، واهماله ما يجب عليه ، مبرئا نفســـه من أسباب ذلك ، حتى لو أغفل شأنا من شئونه ، يزعم أنه قد سدت دونه أبواب الامكان ، وتعذر عليه القيام به ، ولو انتهك محظورا من المحظورات لادعى أنه لا اختيار له فيه ، وانما الضرورة هى التى ساقته الى ارتكابه ، فهو مجبور لا مختار ، مع أنه لايلتمس للغير عذرا فيما يفوته ، أو يقع منه ، ولو كان فى نفس الامر مجبورا ، ومن ثم وقع التضارب فى الآراء ،

والتداقع فى الافعـــال والحركات وعمل كل على نقيض الآخر ، فارتفع التناسب ، وانعدم التعادل ، وذهب الارتباط ٠

أنظر الى حال الآباء مع الأبناء ، والسادات مع الخدمة ، كيف أن كلا منهم مع علمه بأن السعادة المنزلية انما تتحقق بأدائه ما يجب عليه وجعل حركته من متممات حركات الآخر ، يخالفه فى أفعاله ، ويضاره فى آرائه معتقدا أنه لو لم يقصر ذلك الآخر فى أداء الحقوق المفروضة عليه لاستقرت الراحة المنزلية ، وارتفع العناء ، وهكذا حال المشتركين فى المدنية ، فان كل واحد مع جزمه بأن الراحة والنجاح انما يكونان باحكام الصـنعة ، وتهذيبها ، وحسن التعامل ، وكف يد الشر والخيـانة ، وضـبط العهود والمواثيق ، واجتناب الكذب ، والاعتصام بحبل الصدق ، والوفاء ، لايرى نفسه مخلا بشىء من ذلك ، وان أخل بجميعه ، ويزعم أن زوال سـعادة المدنية انما جاء من تهاون الآخرين ٠

ثم بعد ذلك قال السيد جمال الدين الأفغانى : وتصور حال الملوك مع رعاياها ، ترى كلا منهمـا يرمى الآخر بالانحراف ، وعدم الاعتدال ، ويتهمه بانتهاك المحارم والحقوق ، ويبرىء نفسه من نسبة شىء من ذلك اليها ٠ فالملوك يعتقدون أن لا قوام للرعية بدون وجودهم ، وأن لاغنى لها عنهم ، اذ هم يحفظون أموالها ، ويحقنون دماءها ، ويوفون لكل ذى حق حقه ، وينتقمون للمظلوم من الظالم ، ويحرسون الثغـــور لدفع ضرر المهاجمين ، فيرون بذلك أن لهم حق التصرف فى أموال الرعية ، ودمائها ، وأنه يجب عليهم طاعتهم ، والخضوع لسيطرتهم وسلطانهم ، وامتثـــال أوامرهم ، واجتناب نواهيهم ، ويرمون الرعية بالتقصير فيما يجب عليها٠ والرعايا يخاطبونهم قائلين : لا مزية لكم علينا كما زعمتم ، ولستم أطهر عنصرا ، ولا أطيب طينة ، بل نراكم أناسا استولى عليكم حب الذات ، وأسرتكم الشهوة ، واستعبدكم الهوى ، فاستمالكم الى سلب راحتكم ، وراحة رعاياكم ، حرصا على التغلب ؛ وطمعا فى توسيع دائرة السلطة ؛ وكسب الافتخار منا ٠

وأما اعتقادكم أن لاقوام لنا الا بكم ، فأنى لكم صدق هذا الاعتقاد ؟ وقد أصبحتم كلا على كواهلنا ، نحن نغرس ، ونحرث ، ونغزل ، ونحيك ونفصل ، ونخيط ، ونبنى ونشيد ، ونخترع الصنائع ونتفنن فى المعارف وأنتم تأكلون وتشربون ، وتلبسون ، وتسكنون ، وتتمتعون بلذة الراحة ، وأما ما تعللتم به من حفظ أموالنا ، وحقن دمائنا ، الى آخر ما ادعيتم ، فذلك انما نشأ عن العظمة والكبرياء ، اللذين أصولهما فى نفوسكم ،

أفلا تعلمون أن الحارس والمرابط انما هو منـــا ؟ وأن الحافظ والحاقن والمنتقم انما هو القانون والشريعة الحقة ، وما أنتم الا منوطون بحفظها ، والعمل فى الناس بها ، فان قمتم بذلك على وجه الاستقامة كان لكم علينا ما يقيم أودكم ، فكيف ساغ لكم أن تلعبوا بأموالنا ، وتعبثوا بدمائنا ، وتلقوا بنا فى هاوية الشقاوة ، ثم تبتغوا طاعتنا وامتثالنا ، وترموننا بالتقصير ، والتهاون فيما وجب علينا •

ذلك الذى ذكرناه فيما اذا لم يكن الملوك من المتغلبين ، وأما المتغلبون من الملوك والمتغلب عليهم ، فكل منهما يزعم فوق ما ذكر أنه الوسيلة لمتعة الآخر ، والواسطة لمصلحته ، وأن الآخر قابل حسـنته بالسيئة ، ومنفعته بالمضرة •

ثم قال السيد : ودقق النظر فى شئون العقلاء ، والحكماء ، وذوى الآراء ، والمذاهب ، الذين يعتقدون أن الحق واحد فى نفس الأمر ، والواقع لا يتعدد ، كيف أنهم بعد اتفاقهم على أن القواعد المنطقية هى ميزان النظر وبها يعرف صحيح الفكر من فاسده ، قد انتهج كل واحد منهم منهجا ، واتخذ مشربا يناقض الآخر ، ويعتقد أن دلائله المؤدية اليه هى المنطبقة على ذلك الميزان ، وأن لا انطباق لدلائل غيره عليه •

وبعد هذا قال السـيد : وارجع البصر الى أحوال السـارقين ، والقاتلين ، ونحوهم ، من مرتكبى الفواحش والشناعات فى العـــالم الانسانى ، ترى أنه لا يصدر عمل من هذه الأعمال المجمع على قبحها من فاعلها ، الا بسبب هذه الخلة الذاتية •

أعنى اعتقاده كمال نفسه ، والنظر الى أعماله بعين الرضا ، ضرورة أن الفعل انما يكون بعد الارادة التى لا تكون الا بعد ترجيح الفعل على الترك ، ورؤيته خيرا منه وهو عين الرضا به •

قال السيد : ومن غرائب آثار هذه الخلة ابرازها لحقيقة واحدة ، بصور مختلفة فى نظر شخص واحد على اختلاف مراتبه وشئونه ، فانك ترى زيدا من الناس مثلا وهو فى رتبة رؤوفا بالفقراء ، رحيما بالضعفاء شفيقا على المظلومين ذاما للبخل والشح ، مادحا للكرم والسخاء ، مهتما بقضاء حوائج ذوى الحاجات ، مدعيا للعفة ، كارها للانكباب على الشهوة مستهزئا بذوى التكاثر والتفاخر ، مبغضا للكبرياء ، متنفرا عن الارتشاء مشمئزا من الاهمال فى المصالح العامة ، والتهاون فى الواجبات ، مستهينا بالمستبدين بآرائهم ، المعجبين بأقوالهم وأفعالهم ، مستقبحا لاعطاء المراتب لغير أهلها ، وحرمان مستحقيها منها ، لائما على الغضب واسراع العقوبة مستفحشا للسفاهة والبذاء ، محبا للوطن ، محاميا على الحرية ، زاعما

أنه لو آل الأمر اليه لقام باصلاح العالم ، واذا ارتقى الى رتبة سامية ، تجده قسى القلب على الفقراء ، زاعما ان التكفف صـــناعة اتخذها أرباب السفالة والبطالة هربا من عنـــاء الكسب ، جافى الطبع على المظلومين ، مسـتدلا بأنه المظلومين أو لو مكر ودهــاء ، يعلنــون خلاف ما يسرون ، ويستترون تحت حجاب المسـكنة والالتجاء ، للتغلب على حقوق غيرهم ، بخيلاشحيحا ، متمسـكا فى ذلك بأن من مقتضــيات الحزم أن تحرز الأموال ، وتودع المخازن لوقت اللزوم ٠٠٠ قال السـيد : ومن أغرب آثارها أن المتخلق بها مع كونه متصنعا بأرذل الأخلاق ، وأشنع الخصال ، يعمى عن أنه متصف بها ، مثلا يكون قسى القلب ، ويعتقد نفسه رحيما ، ومتكبرا ، ويرى نفسه متواضعا ، وهكذا باقى الخصال ، مع أنه لو تلبس غيره بأدنى رذيلة لأدركها وشهر عليه النكير فيها ٠

ثم بعد البسط قال السيد : ومن نظر بعين الحق ، وسبر الحقائق بنور البصيرة ، لا يجد لهذه الخلة أعنى (اعتقاد كل كمال نفسه ونظره الى أعماله بعين الرضا) علة وسببا ، سوى حب الذات ، الذى هو غشاوة على عين العقل ، تمنعه من استطلاع الحقائق على ماهى عليه ، ووقوفه عند حد الصواب فى سير الأفكار ٠

وفى الآخر قال السيد : وهذا الوصف ـ أعنى حب الذات ـ الذى هو علة الشـــقاء والعناء من الأوصاف اللازمة لذات الانســـان مادام موجودا ، فلا ينفك الانسان عنه ، ولا هو يذايله ، فاذن لا حيلة ولا خلاص من بلاياه ونكباته ، الا باستعمال الانسان عقله ، ورجوعه اليه فى كل أموره ، والخروج من ربقة عبودية سلطان حب الذات ، ورفض أحكامه ، وذلك أن يحكم على نفسه بمـا يراها عليه فى مرآة غيره ، لا فى مرآة نفسه ، وهذا الذى ذكرناه هو العلاج الحقيقى ، والوسيلة العظمى لوقوف كل عند حده ، وسعى كل لاستكمال نفسه ٠ وزاد السيد : لسنا نذم حب الذات بجميع أنواعه ، فان منه ما قد يعود بسعادة ، على طائفة من الطوائف أو أمة من الأمم ، هو حب الذات الداعى الى طلب المحمدة الحقة وهو الذى يرتقى بصاحبه الى توجيه أفكاره ، وأعماله ، نحو المصـالح العمومية ، بدون أن يطلب من ذلك شـيئا سوى الحمد وخلود الذكر ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى » ٠

يثبت مما ذكرنا من مقالة الســيد : فى « العلة الحقيقية لسـعادة الانسان » أن السيد نظر الى الأمراض الاجتماعية بنظر رقيق ، وكشف العلة الأصلية للاختلافات الدائرة بين الناس ، وهى حب الذات المفرط ، ثم نظر الى المعالجة ، والخلاص من هذه العلة ، التى تودى بالانسان الى

الخسران والهلاك ، واكتشف السيد أنه لا خلاص من بلايا حب الذات الا باستعمال الانسان عقله ، وبرجوعه اليه في كل أموره ٠

وأراد السيد بهذا الطريق أن يوجه الانسان الى سعادته ، ويلفته الى موبقاته ٠

لا شك أنه يثبت من هذه المقالة أن فلسفة السيد متكئة على البحث عن علل الأشياء ، والوصول الى العقل المجرد ، بحيث يكون كفيلا لسعادة الانسان وفلاحه ٠

« نفرة السيد جمال الدين من قول السنى والشيعى »

قال جمال الدين : ظهرت لآل البيت النبوى فى أوقات وأزمنة مختلفة أحزاب وشيع ، منهم من ضل (كالمؤلهة) الذين يقولون بالوهية على بن أبى طالب ، ومنهم (المفضلة) و (الغلاة) فى محبة أهل البيت ، وقد دخل الاثنان تحت حكم من قال (يهلك فينا أهل البيت : اثنان محب غال ، وعدو قال) ٠ أما المفضلة من الشيعة ، وهم الذين يقلدون فى المذهب الامام جعفر الصادق ، وهو من أكابر فقهاء أهل البيت ، فهذا الجمهور من المسلمين لمجرد تقليدهم للامام جعفر ومغالاتهم فى حب الآل وتفضيلهم للأمام على ، لا يجب أن نخرجهم من عداد المسلمين ، ونجسم أمر هذا الفروق فى الفروع ، وجعلها واسطة وسبيلا للتفرقة والنزاع والخصام والقتال ٠ تلك الأمور انما سهل وجودها جهلة الأمة وسفه الملوك الطامعين فى توسيع ممالكهم ، فالملوك من الشيعيين هولوا وأعظموا أمر الشيعة لاستهواء العوام بأوهام غريبة عجيبة على شيعة أهل البيت ، ليتسنى لهم بذلك تخريب الأحزاب ، وتجييش الجيوش ؛ ليقتل المسلمون بعضهم بعضا ، (بحجة الشيعية والسنية) ، وجميعهم يؤمنون بالقرآن ، ورسالة محمد عليه السلام ٠

أما مسألة تفضيل الامام على والانتصار له فى قتال معاوية عندما خرج عليه ، فلو سلمنا أنه كان فى ذلك الزمن مفيدا ، أو ينتظر من ورائه نفع لاحقاق حق أو ازهاق باطل ، فاليوم نرى أن بقاء هذه النعرة والتمسك بهذه القضية التى مضى أمرها وانقضى مع أمة قد خلت ليس فيها الا محض الضرر ، وتفكيك عرى الوحدة الاسلامية ٠

لو أجمع أهل السنة اليوم ووافقوا المفضلة من الشيعة (من عرب وعجم) ، وأقروا وسلموا بأن عليا بن أبى طالب كان أولى بالخلافة قبل أبى بكر ، فهل ترتقى بذلك العجم ؟ أو تتحسن حال الشيعة ؟ أو لو وافقت الشيعة أهل السنة على أن أبا بكر تولى الخلافة قبل الامام على بحق ، فهل ينهض ذلك بالمسلمين السنيين ، وينشلهم مما وقعوا فيه اليوم من الذل والهوان ، وعدم حفظ الكيان ٠

أما آن للمسلمين أن ينتبهوا من هذه الغفلة ؟ ومن هذا الموت قبل الموت ؟ ياقوم ــ وعزة الحق ــان أمير المؤمنين عليا بن أبى طالب لايرضى عن العجم ، ولا عن جميع أهل الشيعة ، اذا هم قاتلوا أهل السنــــنة ، وافترقوا عنهم لمجرد تفضيله على أبى بكر ٠ وكذلك أبو بكر لايرضـــيه أن يدافع أهل السنة عنه ، وأن تقاتل الشـــيعة لأجل تلك الفضـــيلة التى مر زمنها ، والتى تخالف روح القرآن الكريم ، الآمر بأن يكونوا كالبنيان المرصوص ٠

أما قضية التفضيل فلو استحقت البحث بعد تلك الأجيال لكفى أن يقال لحل اشكالها ٠ (ان أقصر الخلفاء الراشدين عمرا تولى الخلافة قبل أطولهم عمرا) ٠ فلو تولى الخلافة بعد النبى عليه السلام على بن أبى طالب ، لمات أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولم يتيسر لهم خـــدمة الاسلام والمسلمين ، بما استطاعوا أن يخدموه به رضــوان الله عليهــم أجمعين ٠ (١)

يظهر من هذا أن السيد تعمق فى مسألة (السنية والشيعية) ، ووصل الى حد أنه أيقن أن تلك الاختلافات بين المسلمين من مؤامرات أعداء الاسلام ، ودسائس المستعمرين ، ويثبت من مقاله هذا أن ماكتبه مرزا لطف الله خان الايرانى :

بأن السيد كان شيعيا ، هو فى الحقيقة افتراء من افتراءات أيادى الاستعمار وأعداء الاسلام بشأن السيد ويريدون بذلك الحط من درجته ، اذ هم يجادلون المصلحين فى حياتهم ، ويهدمون خططهم بعد مماتهم ٠

كما أنهم يريدون أن يستفيدوا من اختلافات السنى والشـــيعى فى عصرنا الحاضر أيضا ٠

أعوذ بالله من صنيعهم ، وعدم حيائهم ٠

---

(١) من كتاب صيحة جمال الدين الافغانى للاستاذ محمود أبو رية ص ٢١٥ ــ ٢١٧

رأى السيد جمال الدين فى الاجتهاد »

عرف جمال الدين بنفوره من التقليد والجمود ، فكان يأخذ الأحسن والأيسر من الأقوال ، ويجتهد للأولى ، ويرد الضعيف منها ، ويتناول الأقرب للصواب ، وما يقبله العقل الصريح ، ويتفق مع النقل الصحيح •

ذكروا له قولا للقاضي عياض ، واتخذوه حجة ، واشتد تمسكهم به ، فقال جمال الدين الأفغاني :

ياسبحان الله ! ان القاضى عياض قال ماقال على قدر ماوسعه عقله ، وتناوله فهمه ، وناسب زمانه ، فهل لا يحق لغيره أن يقول ما هو أقرب للحق ، وأوجه وأصح من قول القاضى عياض أو غيره من الأئمة ؟ وهل يجب الجمود والوقوف عند أقوال الناس ؟ •

انهم أنفسهم لم يقفوا عند حد أقوال من تقدمهم ، لقد أطلقوا لعقولهم سراحها ، فاستنبطوا وقالوا ، وأدلوا دلوهم فى الدلاء فى ذلك البحر المحيط من العلم ، وأتوا بما ناسب زمانهم ، وتقارب مع عقول جيلهم ، والأحكام تتبدل بتبدل الزمان • ولما قيل له ان ذلك يعد اجتهادا ، وباب الاجتهاد عند أهل السنة مسدود ؛ لتعذر شروطه ، تنفس الصعداء وقال : مامعنى باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأى نص سد باب الاجتهاد ؟ وأى امام قال : « لا ينبغى لأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ، أو أن يهتدى بهدى القرآن ، وصحيح الحديث ؟ • أو أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما ، والاستنتاج بالقياس على ماينطبق على العلوم العصرية ، وحاجيات الزمان وأحكامه ؟ ولا ينافى جوهر النص ؟ ان الله بعث محمدا رسولا بلسان قومه (العربى) ، ليفهمهم مايريد افهامهم ، وليفهموا منه مايقوله لهم ، « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » وقال : « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » وفى مكان آخر : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » •

فالقرآن الكريم ما أنزل الا ليفهم ، ولكي يعمل الانسان بعقله ، لتدبر معانيه وفهم أحكامه ، والمراد منها ٠

فمن كان عالما باللسان العربي ، وعاقلا غير مجنون ، وعارفا بسيرة السلف ، وما كان من طرق الاجماع ، وما كان من الأحكام مطبقا على النص مباشرة ، أو على وجه القياس الصحيح الحديث ، جاز له النظر في أحكام القرآن ، وتمعنها ، والتدقيق فيها ، واستنباط الأحكام منها ، ومن صحيح الحديث والقياس ٠ ولا أرتاب في أنه لو فسح في أجل أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ، وعاشوا الى اليوم لداموا مجدين مجتهدين ، يستنبطون لكل قضية حكما من القرآن والحديث ، وكلما زاد تعمقهم وتمعنهم ازدادوا فهما وتدقيقا ٠

نعم ان أولئك الفحول من الائمة ، ورجال الأمة ، اجتهدوا وأحسنوا ، جزاهم الله عن الأمة خيرا ، ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن ، أو تمكنوا من تدوينها في كتبهم ، والحقيقة أنهم مع ما وصلنا من علمهم الباهر ، وتحقيقهم واجتهادهم ، ان هو بالنسبة الى ماحواه القرآن من العلوم والحديث الصحيح من السنن والتوضيح الا كقطرة من بحر أو ثانية من دهر ، (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده) ، وعلمهم مالم يكونوا يعلمون ٠

وقال السيد :

التحليل والتحريم لا يكون الا بأمر الله ، والتدقيق في القول بالسنة ٠٠ كان علماء السلف والأئمة منهم لا يجرءون على القول بسنة من سنن الرسول الا بعد التدقيق والنظر في الأجماع وتحري الثقاة من الرواة ٠٠٠٠ الخ ، أما الجهلاء من المشايخ المتعممين اليوم فتراهم يتهجمون على التحريم للحلال ، والتحليل للحرام ، بغير نص ، وقد جهلوا أن مقام التحريم ماجاز لصاحب الشرع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى :

« يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ٠٠٠ الخ » ٠

وقد رأيت شيخا آخذا بتلابيب رجل (أفندي) قرب جامع السليمانية في الاستانة ، وهو يهزه ويقول له :

ان لبسك هذا القميص حرام وكفر لأنه صنع الأفرنج ٠ قال جمال الدين فما وسعني الا أن تقدمت الى ذلك الشيخ الجاهل وقلت له :

ياشيخ ان عمامتك وجبتك وعمامتي وجبتي هي من صنع الأفرنج ، فلماذا لا تخلع عمامتك وترمي بجبتك أولا ، ثم تعمد الى قميص الرجل فتشلحه اياه ؟! .. وكم من أمثال هذا الشيخ الجاهل في هذه الامة في هذه الأيام فلا حول ولا قوة الا بالله . (١)

يظهر ويثبت من مقالة السيد في باب الاجتهاد ان السيد له سعة الفكر ، يريد أن يحرر أفكار المسلمين من قيود الأوهام ، والخرافات، ويهيئهم للمكافحة في ميادين الحياة الفكرية والعملية ، هو يريد ان يتحرك الشرق والمسلمون من نومهم ، وخمودهم وجمودهم ، الذي ألقى في أعناقهم وأيديهم السلاسل والأغلال ، لكي يبدءوا في الاختراعات والانكشافات العلمية والعملية ، ويصلوا الى مقامهم الشامخ ، الذي حققه علماء الاسلام في الصدر الأول .

« جوامع الكلم المأثورة عن

السيد جمال الدين الأفغاني »

ـ من سفه الرأى أن يعتقد الرجل افضليته على الغير بالعمر والمشيب . الأقدمية لا تجدى الأفضلية غالبا .

ـ الفخر بالقول المجرد يبطله المجد بالفعل .

ـ أحقر الناس من يطلب موت الناس ليحيا ، وأعظمهم من يستميت

ـ الذل وصحيح العلم ضدان لا يجتمعان .

ليحيا ولو واحدا من الناس .

ـ الفقر (٢) عدو الفضيلة ، والثراء نصير الرذيلة .

ـ لا خير في حق لا تدعمه قوة .

ـ تطويل المقدمات دليل على سقم النتائج .

ـ من رهب الملوك بغير جريرة فهو صعلوك .

ـ لا تطيب نفس الانسان بالتواضع الا اذا علم بعض العلم .

---

(١) من كتاب صيحة جمال الدين الافغاني للاستاذ محمود ابو رية ص ٢١٢ ـ ٢١٥ .

(٢) المراد بالفقر الفقر النفسي .

ـ الافراط فى التواضع دليل على الادعاء •

ـ من فتح له الباب ولم يدخل أولى بالطرد •

ـ قلما يأتى الحق من غير عناء •

ـ ما مات أحد فى حب أمته الا وأحيته •

ـ من أحب الحياة فليمت فى سبيل حياة أمته •

ـ لا أمة بدون أخلاق ولا أخلاق بغير عقيدة ولا عقيدة بغير فهم •

ـ خير موازين الأمم أخلاقها ، خير الأخلاق انكار الذات ، أعظم دلائل الانكار على الذات الأعمال •

ـ ألف قول لا يساوى فى الميزان عملا واحدا •

ـ خير ما يحتاجه الشرق من الملوك القوى العادل • لا خير فى العادل الضعيف ، كما أنه لا خير فى القوى الظالم •

ـ الاستقلال أمل يتبعه عمل •

ـ اذا خلا الميدان من العقلاء تسابقت الجهلاء •

ـ العالم الفقير غنى بعلمه ، والغنى الجاهل فقير بجهله •

ـ الحرية تؤخذ ولا تعطى •

ـ الاستقلال لا ينال بالأقوال •

ـ طالب الموت فى سبيل الوطن اما أن يموت بطلا شهيدا ، واما أن يعيش سيدا عزيزا •

ـ من اعتقد أن لا حياة الا هذه الفانية فقد خسر الأولى والثانية •

ـ من ثابر وكابر على تجربة الضار أولى أن يتخذ عبرة •

ـ الأزمة تلد الهمة •

ـ انهزام العاقل أمام الجهلاء أولى من الظفر بهم •

ـ الصالح من يعبد الله لا خوفا من جحيمه ولا طمعا فى جنته بل لكونه الها يستحق العبادة والتقديس •

ـ جمود بعض المتعممين أضر بالاسلام والمسلمين •

ـ أمة ثبتت فى جهادها لأخذ الحق ساعة خير لها من الحياة فى الذل الى قيام الساعة ٠

ـ اذا لم تتذرع الأمة بشكواها من ظالميها بغير الكلام فاحكم عليها بأنها أضل من الأنعام ٠

ـ أمة تطعن حاكمها سرا وتعبده جهرا لا تستحق الحياة ٠

ـ الايمان واليقين ليس معناهما عبادة رؤساء الدين ٠

ـ شر الأزمنة أن يتبجح الجاهل ويسكت العاقل ٠

ـ مهابة تصدر عن كرسى الحاكم لا عن عدله وفضله أقرب الى السخرية منها للاحترام ٠

ـ تحتجب الحقائق عن الملوك بقدر تحجبهم ٠

ـ من خبثت نفسه لان ملمسه وكثر ختله وخداعه ٠

ـ الشباب جسر من جنون لا غنى للعقلاء من المرور عليه ٠

ـ الأحزاب السياسية نعم الدواء ولكنها فى الشرق تنقلب غالبا الى شر الداء ٠

ـ نهض الغرب بالعلم والعمل وانحط الشرق بالجهل والكسل ٠

ـ ثمرة العقول لا تجتنى الا باطلاقها من قيود الأوهام ٠

ـ قيد الاغلال أهون من قيد العقول بالأوهام ٠

ـ من قال ان الدين يأمر بالعسر دون اليسر وبالضار دون النافع لمجرد التقليد والمألوف فهو كذاب ٠

ـ المعوج الظاهر من الناس أقل ضررا من المتلبس بالاستقامة ٠

ـ من ظن انه خدع الناس بالباطل يكون أول مخدوع ٠

ـ حاجة الملك الى الأمة أشد من حاجة الأمة الى الملك ٠

ـ للعلم قشور ولباب فالواقف على القشور يغرق فى بحر الغرور ٠

ـ المبتدىء فى أوليات العلوم يظن أنه تبحر فيها وانتهى ، أما الراسخ المحقق فيعتقد أنه ما زال فى الابتداء ٠

- محدث النعمة بالمال يستعرضه في كل مكان ، ومحدث النعمة بالعلم يلقيه على كل انسان •
- لو يحاسب الانسان نفسه كما يحاسب غيره لقل خطؤه وقرب من الكمال •
- العقل أشرف مخلوق ، فهو عالم الصنع والابداع ولا معطل له الا الوهم ، لا يقعده عن عمله الا الجبن وهو الذى يخيل المفقود موجودا، والقريب بعيدا •
- كل عناصر الوجود في هذا العالم الفاني خاضعة للعقل المطلق الانساني ، فكل مستحيل اليوم في الطب والصناعة سوف يكون غدا ممكنا •
- الفصل في نزاع نساء البيت ينغص الحياة •
- أعقل الآباء من لا يساكن أولاده بعد الزواج ، ويستعيض بالتزاور عن التجاور •
- قل من رأيت من الرجال من يعرف الهناء بغير النساء وندر منهم من لاينسب الشقاء اليهن •
- القوى من الشجر لا يعجل بالثمر •
- يعوج الشرقي باعوجاج حاكمه ، ويستقيم اذا هو استقام •
- لا ينطبق على الشرقيين قول « مثلما تكونوا يول عليكم » بل حق عليهم قول « مثلما يول عليكم تكونوا » • (١)

هذه هى الأفكار الخالدة من جوامع الكلم المأثورة عن السيد جمال الدين الافغانى ، تظهر منها درجة علم سيدنا وفضله ، وفلسفته ، وتجربته، ونبوغه ، وعبقريته ، لمن يتعمقها •

ولو وقفنا عند كل كلمة منها ، مع الدقة ، والتحليل ، لوجدنا أن

(١) من كتاب زعماء الاصلاح في العصر الحديث تاليف أحمد امين ص ١١٩ — ١٢٠ ومن كتاب جمال الدين الافغانى حياته وفلسفته تاليف دكتور محمود قاسم ص ٩٦ — ١٠٢ •

السيد مجدد عصره ، جاء لانقاذ الشرق والمسلمين ، من نير الاســـتعمار والاستغلال ، هو يبذر بذور الحياة فى الأفكار الخامدة ، ويشق الطريق الى الصلاح ، والفلاح ، ويثبت منها أيضا أن السيد جمـــال الدين الافغانى فيلسوف ، ومرشد ، بمعنى أنه يعرف الحقائق ، ويزكى الانفس من الدنس لكى يصل بالناس الى المثل الأعلى ، وذلك ليحيوا حيــاة طيبة ، بحيث لا خلاف ولا شقاق بينهم فى الوصول الى الحق والخير والسعادة .

« هل يصح القول :
بأن السيد جمال الدين الافغاني
فيلسوفا ؟ »

قال العلماء : للمعارف ثلاث مراتب : مرتبة العلم ، ومرتبة الفن ، ومرتبة الفلسفة ، يعني هم يقولون : استقراء الكليات من الجزئيات ، وتعليل الجزئيات من الكليات ، ووضع القوانين والاصول ، يسمى بمرتبة العلم ، وتطبيق العلم على العمل ، يسمى بمرتبة الفن ، واستقصاء العلل الى المبادىء الميتافيزيقية ، والمقارنة بين المادة والمعنى والجسد ، والروح ، تسمى بمرتبة الفلسفة ·· مثلا في الاخلاق تدوين الفضائل وترتيبها الى نظرى وعملي ومقارنتها بالغرائز ، وتعيين حد الوسط الملائم ، ووضع قائمة الفضائل والرذائل ، وتعيين حدود ورسوم للفضائل والرذائل ، وغيرهما من المسائل الاخلاقية ، يسمى علم الاخلاق · وتطبيق تلك المسائل بحسن المعاملة ، ورعاية الادب ، والنظافة ، والصدق ، والامانة ، يعد من وظيفة فن الاخلاق ، وربط السلوك بالمبادىء السامية ، والمثل العليا والسماوية على ضوء وحى ، أو انبعاث من الضمير ، أو الهام من الله تعالى ، والارتباط بين النظامين الطبيعي والادبى ، واتباع غاية من الزلفى عند الله ، والتخلق بأوصافه ، فهذه المفاهيم وأمثالها هى من صميم فلسفة الاخلاق · كذلك فى كل مفهوم ومسألة ، توجد مرتبة العلم ، ومرتبة الفن ، ومرتبة الفلسفة · فعلى هذا الاساس من درس حياة السيد جمال الدين الافغاني وآراءه وتحليلاته وخططه وكلماته وخطاباته فى أفغانستان والهند ، ومصر ، وتركيا ، وفرنسا ، وايران ، وروسيا ، والبصرة ، ولندن ، وسائر البلاد التى أقام بها ، يتبين له أنه كان فيلسوفا ، وله نشاط فلسفي في الوصول الى الحق والجمال ، وفى المكافحة للخير والسعادة، ويثبت له أن السيد وصل فى كثير من المسائل والمفاهيم الى مرتبة العلم ، ومرتبة الفلسفة ، ومرتبة الفن ، وانه أعطى من قوة الفكر والذكاء ، وقوة القلب والايمان جانبا كبيرا ويؤيد ما قلنا ، ما دار من المباحثات بين السيد جمال الدين الافغاني ، والفيلسوف الشهير « رينان » حول الاسلام والعرب ، والذى نشر فى جريدة « الديبا » الفرنسية الشهيرة ، وقد نشر فيها ما قاله الفيلسوف الشهير « رينان » :

« تعرفت بالشيخ جمال الدين ، من نحو شهرين ، فوقع فى نفسى

منه مالم يقع لى الا من القليلين ، وأثر فى تأثيرا قويا ، وقد جرى بيننا حديث عقدت من أجله النية على أن تكون « علاقة العلم بالاسلام » هى موضوع محاضراتى فى السربون ٠

والشيخ جمال الدين خير دليل يمـــكن أن نسـوقه على النظرية العظيمة التى طالما أعلناها ، وهى أن قيمة الاديان بقيمة من يعتنقها من الاجناس ، وقد خيل الى من حرية فكره ، ونبالة شيمه ، وصراحته ـ وأنا أتحدث اليه ـ انى أرى أحد معارفى من القدماء وجها لوجه ، وأنى أشهد ابن سينا ، أو ابن رشد ، أو واحدامن العظماء الذين ظلوا عدة قرون يعملون على تحرير الانسان من الاسر » ٠

لا شك آن السيد له آراء فلسفية خاصة ، وأن ذهنه وذكاءه يصل الى المسائل الفلسفية العويصة أكثر من بعض الفلاسفة المشهورين حتى أن الاستاذ رشيد رضا قال في وصف آراء السيد مايلى : « لا يغنى عنها لقاء المثين والألوف من المشيخة ولا مطالعة أسفار المتقدمين والمتأخرين فى الفنون » ٠

ومما يلزم أن أقول ان كثرة اشـــتغال السيد فيمـا هو الأهم أى الاصلاحات الاجتماعية وتبيين حقيقة الاســـلام لم تعـط له الفرصة بأن يشتغل فى الفلسفة ، وتدوين الكتب ، مثلما اشتغل الفلاسفة الفنيون والمؤلفون الكبار فى مسائل ميتافيزيقية ، وجميع العلوم والفنون ، لكن مع هذا ان ما صدر عنه فى الفلسفة الاجتماعية والروحية له قيمة وشأن ، يثبت منهما أنه فيلسوف كبير ومصلح عظيم وان له نبوغا فائقا وعبقرية جبارة ٠

« التراجم والتعليقات
التى يظهر منها نبوغ السيد جمال الدين الأفغانى
وعبقريته وأنه فيلسوف ومجاهد كبير فى الشرق »

كتب كثير من العلماء والفضلاء والأدباء والحكماء والمصلحين فى أفغانستان ، والهند ، ومصر ، وتركيا ، وفرنسا ، وايران ، وروسيا ، والبصرة ،ولندن ، وسائر البلاد ، التى أقام بها السيد ، أو ذاع فيها صيت نبوغه ، وعبقريته ، أنه فيلسوف ، ومجاهد كبـــير فى الشرق ، لكن لما كان ايراد تمام ماكتبوا من التراجم والتعليقات يطيل الـكلام ، فلذلك أقتصر هنا على أهم ما ورد من التراجم والتعليقات فيما يأتى :

١ ـ روى عن الاستاذ محمد عبده ، فى السيد جمال الدين الأفغانى مانصه :

« أنا واحد من تلامذته ، فانى لو قلت ما آتاه الله من قوة الذهن ، وسعة العقل ، ونفوذ البصيرة ، هو أقصى ماقدر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ » وأيضا قال الاستاذ الامام :

« كان السيد مع مشربه الفلسفى ، وميله القليل الى المتصوفة ، متمسكا بالمذهب الحنفى ، مع اهتمام شديد بأداء فرائض المذهب » ثم قال :

« هو أشد من رأيت فى المحافظة على أصول مذهبه وفروعه » (١) .

وأيضا ذكر الشيخ الاستاذ الامام محمد عبده عن السيد جمال الدين : « أنه باعث النهضة الوطنية فى مصر ، وأن هجرته الى مصر واقامته فيها من سنة ١٨٧١ م كانت بعثا وطنيا سياسيا لها ، وحدا فاصلا بين ماض مظلم ، وحاضر مضىء ، ومستقبل مبشر بالكرامة والحرية » . (٢)

وأيضا قال الامام محمد عبده تحت عنوان (لقاء بالسيد جمال الدين) ما يلى :

« وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ ، وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية ، والحكمية : (الفلسفة) ، والكلامية ، وأدعو الناس الى التلقى عنه كذلك .

وأخذ مشايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل ، ويزعمون أن تلقى تلك العلوم قد يفضى الى زعزعة العقائد الصحيحة ، وقد يهوى بالنفس فى ضلالات تحرمها خيرى الدنيا والآخرة ، فكنت اذا رجعت الى بلدى عرضت ذلك على الشيخ درويش ، فكان يقول لى :

« ان الله هو العليم الحكيم ، ولا علم يفوق علمه وحكمته ، وان أعدى أعداء العليم هو الجاهل ، وأعدى أعداء الحكيم هو السفيه ، وما تقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة ، فلا شىء من العلم بممقوت عند

(١) من كتاب سمى بجمال الدين ترجمه من الفارسية الى العربية الاستاذان صادق نشأت وعبد النعيم حسنين ص ١٣٢ .

(٢) كتاب مذكرات الامام محمد عبده طبع دار الهلال ص ـ ١٠ .

الله ، ولاشيء من الجهل بمحمود لديه ، الا مايسميه بعض الناس علما ، وليس من الحقيقة بعلم ، كالسحر ، والشعوذة ، ونحوهما ، اذا قصد من تحصيلهما الاضرار بالناس » (١) ٠

وكتب محمد عبده يقول :

« جاء الى هذه الديار في سنة ١٢٨٨ هـ رجل بصير في الدين ، عارف بأحوال الأمم ، واسع الاطلاع ، جم المعارف ، جريء القلب واللسان ، وهو المعروف بالسيد جمال الدين الافغاني » ٠

٢ ـ كتب السيد محمد رشيد رضا عن السيد جمال الدين الافغاني في كتابه : (تاريخ الشيخ محمد عبده) تحت عنوان (حكيم الشرق والاسلام) مايلي :

« كان ذلك الروح العلوي النبوي الذي تمثل للافغان في ناسوت بشري ، جلس في دروس العلم فحذق العلوم والفنون القديمة ، نقليها ، وعقليها ، في بضع سنين ، وألم بالهند لتلقي مبادىء العلوم الأوروبية ، فوقف على ما شاء منها في زهاء سنتين » (٢) ٠

ثم ذكر السيد محد رشيد رضا من أحوال السيد جمال الدين حجه في سنة ١٢٧٣ هـ وزيارته للبلاد الاسلامية ورجوعه الى أفغانستان، وما حدث له في أفغانستان ، وخروجه من أفغانستان ومروره بالهند ، ونفخه روح الاستقلال في شعب الهند ٠ وفي (ص ٧ ز) من الكتاب المذكور كتب محمد رشيد رضا يقول عن السيد جمال الدين :

« كان يغذي ذلك الروح بالكتابة وتلقين الافكار لمن يلقى من رجالها ، في مصر ، وأوروبة ، وسائر البلاد ، وبمقالات له في الجرائد نشرناها في المنار ، وناهيك « بالعروة الوثقى » التي كادت تضرم نيران الثورة فيها ، وكان موقنا باستقلالها من بعده حتى أنه قال للشيخ عبد الرشيد التتاري :

ياولد انك ستصلي صلاة الجنازة على القيصرية الروسية ، وستحضر

---

(١) في ص (٣٤) من كتاب مذكرات الامام محمد عبده ٠

(٢) كتاب تاريخ الشيخ محمد عبده لرشيد رضا ص ــ و

تشييع جنازة الامبراطورية الانجليزية فى الهند • وقد تمت البشـــارة الاولى وظهرت بوادر الثانية (١) فى هذه الاعوام » •

كتب محمد رشيد رضا فى ص ـ ١ ـ من كتابه يقول :

« ان مصر لن تنسى ذكر الحكيمين المجددين ، والامامين المصلحين ، السيد جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده المصرى ، فطـــلاب الاصلاح الدينى ، والاصلاح المدنى ، والاصـــلاح السياسى ، لا يفتئون يشيدون باسميهما على أعواد المنابر ، وفى أعمدة المجلات والجـرائد ، ولا يزالون يجعلونهما مضرب الأمثال ، ويتناقلون مايؤثر عنهما من حكم الأقوال ، وجلائل الأعمـــال ، بل ذكرهمـــا الحميد معروف فى ســـائر الشرق ، غير مجهول فى عالم الغرب ، وان لقب « حـــكيم الشرق » ولقب « الأستاذ الامام » لاصقان بهما ، ومغنيان عن تسميتهما ، وقد أجمع العارفون والمدونون للتاريخ الحديث على أنهما مصـــــدر هذه النهضـــة العصرية فى مصر ، والافغان ، وايران ، والهند » •

وكتب محمد رشيد رضا فى كتابه المذكور ماحاصله :

ان صحيفة « مصر » وصحيفة « التجارة » كتبتا من نعوت الســـيد وألقابه أنه « مهبط أسرار الحكمة ، واصطرلاب فلك العلوم ، واسطقس هيولى الفلسفة » وان له فى صحيفة مصر مقالتين :

احداهما فى الحكومات الشرقية وانواعها ، والثانية سماها « روح البيان فى الانجليز والأفغان » أثرت هاتان المقالتان فى نفوس العلماء ، ومالت اليهما أعناق الحـــكام السياسيين عجبا ، حتى ان « غلادستون » زعيم حزب الحرية فى انجلترا أثبت فى بعض الصـــحف رسالة تشهد للسيد جمال الدين الأفغانى أنه من أعلام الشرق وأعيان العلماء حـــالة كون الانجليز من أعدائه الألداء (٢) •

وأيضا كتب محمد رشيد رضا فى كتابه تحت عنوان « فلســــــفة السيد جمال الدين » يقول :

« لاتزال فلسفة اليونان والعرب تدرس فى بلاد الأعاجم ، ولكن قل

---

(١) حينما كتبه كانت الامبراطورية الانجليزية ما زالت باقية فى الهند والآن تحققت نبوءته كاملة •

(٢) من كتاب تاريخ الشيخ محمد عبده ص ـ ٤٥ •

من يقرؤها فى البلاد العربية ، كمصر ، والشام ، وقد تلقى السيد جمال الدين الفلسفة العربية القديمة فى بلاده ، ثم تلقى شيئا من الفلسفة الأوروبية والرياضيات على الطريقة الحديثة في الهند ، وكان قد تصوف قبل ذلك علما وعملا ، فكانت فلسفته مزيجا من التصوف ، والفلسفة القديمة والحديثة ، أى كان له رأى خاص في العلوم العقلية ، وعلم النفس ، والاخلاق ، وعلم الوجود ، والتكوين ، يستدل عليه ويفند رأى من يخالفه ، ولا معنى للفيلسوف الا هذا » • (١)

وحكى الأستاذ الأمام محمد عبده عن درس السيد « للاشارات » أى اشارات ابن سينا مانصه :

« بين ــ حفظه الله ــ وأثبت أن الانسان نوع الحيوانات الأرضية ، (لا كما يزعم أرباب الأوهام كالصينيين ، وقدماء الفرس ، من أنهم أبناء السماء) •

ثم شرح الامام محمد عبده وأثبت تلك الدعوى ،وعلق عليها ، بما يأتى :

« فاذا قابلنا هذا القول برد السيد جمال الدين الافغانى على مذهب « داروين » ، وعلى الماديين ، الذين يقولون :

« انه لا فرق بين الانسان وبقية الحيوانات » يتجلى لنا أن مذهبه وسط بين المذاهب فى ذلك ،وهو أن الانسان حيوان مترق من جهة ، وملك أرض من جهة أخرى ، أى أنه جامع لخواص الجنسين » • (٢)

وكتب السيد محمد رشيد رضا فى كتابه (٣) نقلا من رسالته التى أرسل بها الى السيد جمال الدين الافغانى حين ما كان السيد فى الاستانة بعد ما ذكر من أوصافه وفيوضه يقول :

« انى حتى الآن لم أقف على شىء من سيرة سيدى الا ماكتبه سليم أفندى العنحورى فى كتاب له خلط فيه الخطأ بالصواب ، وما نقل فى منتخبات اديب بك اسحق ، وما كتبه الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عبده ــ حياه الله تعالى ــ على رسالة سيدى فى النسبة بين الدين والكفر فى العمران ، ولم أحظ بشىء من آثاره النفسية الا الرسالة المشار اليها آنفا ، وتاريخ الافغان ، والاعداد (١٨) التى صدرت من « العروة الوثقى » هذا كل

---

(١) تاريخ الشيخ محمد عبده ص ــ ٧٩ •

(٢) من كتاب محمد رشيد رضا ص ــ ٨٠ ــ ٨١ •

(٣) ص ٨١ ــ ٨٧ •

ما أرويه وأوثره عن سيدي ، وهو ان كان قليلا بالنسبة لمن أضر به الظمأ فلا يكتفي بقليل من الورود ، لكنه لا يقال له قليل بالاضـــافة لما فيه من عظيم الفائدة ، التي لا يغنى عنها لقاء المئين والألوف من المشيخة ، ولا مطالعة أسفار المتقدمين ، والمتأخرين فى الفنون ، فلله أنت من ذى نفس زكية وروح قدسية » .

٣ ـ لو نقرأ حياة الأمير شكيب أرسلان وآثاره وخدماته لثبت لنا : أن الأمير شكيب أرسلان استفاد فى مكافحاته من تلقينات السيد جمال الدين وأنوار صحبته ، كما استفاد من توجيهات تلميذه الصديق الاستاذ محمد عبده ، جاء فى كتاب (الامير شكيب ارسلان حيـــاته وآثاره) للدكتور سامى الدهان ما يأتى :

(وقر فى نفسه (أى نفس الامير شكيب أرسلان) ، أن يتصـــل بجمال الدين ، وأن يسافر اليه ، لينهـــل من ينبوعه ، ويســتقى منه فيروى ظمأ نفسه ، وغليل روحه ، ويقف على كثير مما كان يعتلج فى قلبه من الأسئلة ، فسافر الى باريس واتجه منهـــا الى الاستانة ، واجتمع بجمال الدين سنة ١٨٩٢ م ، وهو فى الثانية والعشرين من العمر ، فنفض أمامه جملة مشاهداته فى مصر ، وفى الغرب ، وما دار فى خلده عن الشرق والاسلام ، وموقف الاستعمار ، والتبشير منهمـــا ، فأعجب به جمال الدين ، كما أعجب به الامام محمد عبده من قبل) وقال له :

« أنا أهنىء أرض الاسلام التى أنبتتك » .

قال الأستاذ الأمير شكيب أرسلان :

« وكنت لما عدت من أوروبا الى الاســتانة ١٨٩٢ م ، ذهبت اليه فى نهار وصولى ، فاستقبلنى برا وترحيبا ، ولزمته تلك المدة ، الى أن اضطررت الى السفر الى وطنى سورية ، ففارقته آسفا » ، ثم نشر الاستاذ الأمير شكيب ارسلان عن السيد مقالة فى مجلة الثقافة بدمشق ص (٣٣٧) سنة ١٩٣٣ م(١)وأيضا جاء فى الكتاب المذكور(٢)فى التعليق والتوضيح على قصيدة الامير شكيب أرسلان فى جمال الدين الأفغانى ما نصه :

« هى قصيدة المديح والاعجاب ، صاغها على أن هذا المصطلح كان صورة المثل الاعلى لما يحب شكيب ، ويهوى ، فرأى فيه الهمة والمنقد

---

(١) من كتاب الامير شكيب ارسلان ص (٧٠) .

(٢) من كتاب الامير شكيب ارسلان ص (١١٨) طبعة دار المعارف .

ورأى أنه فرد فى نفس الاملاك ، وعزة الافلاك ، وجود الغمام ، وطبع سام ، ووجه سليم ، ويراع كالغيث فى انسكابه ، وذكاء كالنار فى ضرامه ، ومعان لو أوحيت الى جماد لهزه الشوق نحوها والغرام فهو للمسلمين حجة فى دينهم ، وهو فى المشرقين بدر تمام » .

٤ ـ جاء فى الكتاب المسمى بـ « عبد الله النديم خطيب الوطنية » بقلم الدكتور « على الحديدى » تحت عنوان « على الطريق مع الاحرار » ما نصه :

جاء جمال الدين الافغانى الى مصر وهى ترسف فى اغلال حكم اسماعيل ، وتتخبط فى بحر لجى من الظلمات ... ظلام سياسى ، وظلام اجتماعى ، وظلام دينى ، وظلام خلقى ، اما ديجور الظلام الاكبر فقد كان فى استبداد الحاكم ، وطغيانه .

جاء المفكر الافغانى عام ١٨٧١ م وكان ذوو البصيرة فى مصر يعيشون فى حيرة يتلمسون معالم الطريق ، فاجتذبتهم أحاديث جمال الدين وأراؤه ، واستهوت أفكاره الجريئة عبد الله النديم ، كما استهوت غيره من المثقفين الذين يتوقون الى المعرفة الحقيقية ، وقد أضنت الحيرة قلوبهم ، انتظم النديم فى عداد حوارييه يتحلق هو وزملاؤه حول استاذهم فيبسط لهم ما ينير العقول ، ويطهر العقيدة ، ويذهب بهم الى معالى الأمور ويستلفت نظرهم الى ما وصلت اليه بلادهم من ذلة العبودية ، وبؤس التحكم ، وهو فى كل ذلك له سلطة على دقائق المعانى ، يبرزها فى صورها اللائقة بها ، كأن كل لفظ قد خلق لمعناه (١) .

كان جمال الدين ينبه فى كل تلميذ من تلاميذه ملكات ذهنه وضميره ، ويستحث فى قرارة طبعه غاية وسعه من الاجتهاد والهمة ، حسب فطرته واستعداده ، كان يغرس فيهم الثقة التى هى عدة من يتولى عظائم الأمور .

والهدف الذى كان يسعى اليه من وراء ذلك كله هو نهضة العالم الاسلامى فى وجه الدول الغربية العظمى ، وفى وجه ملوكه وأعدائه المتألبين عليه ، بل فى وجه أبنائه الكارهين للاصلاح كراهة الطفل المريض لمذاق الدواء .

ومن تلاميذ السيد جمال الدين الذين رفعوا أعلام مكافحاته فى

(١) فى ص (٤٢ ـ ٤٣) من كتاب «عبد الله النديم خطيب الوطنية» .



مصر الامام الأستاذ محمد عبده ، وابراهيم اللقانى ، وسعد زغلول ، وعلى مظهر ، وحفنى ناصف ، وعبد السلام المويلحى ، وأخوه ابراهيم ، وسليم النقاش ، واديب اسحق ، ومحمود سامى ، وعبد الكـــريم ســـلمانى ، وعبد الله النديم ، واحمد عرابى ، وغيرهم ، ممن جاءوا بالنهضة الحديثة فى مصر ، وبذروا بذور الحرية ، والأخوة والمعاونة والمســـاندة ، وتأمين الحقوق ، واصلاح الثقافة ، ورفع مستوى المعيشة ، والمبادىء الســامية التى يحتاج اليها الناس فى حياتهم ليعيشوا فى رفاهية وسعادة .

٥ ـ ومما يدل على دقة فكر السيد جمال الدين الافغـــانى وكثرة معلوماته وتجاربه ماروى عنه أن السلطان عبد الحميد أراد أن يوفد بعثة من علماء الآستانة ، لكى ينشروا الدين الاسلامى فى بلاد اليابان بناء على طلب امبراطورها ، فطلب مشورة جمال‌الدين فأرجعه عن‌عزمه وقال له :

« ان العلمـــاء نفروا المسلمين من الاســـلام ، فأجدر أن ينفروا الكافرين » .

وقال :

« والرأى أن ترسل الى الامبراطور هدايا مع كتاب تعده فيه بتلبية طلبه ، ثم يجتهد فى تخريج جماعة من‌العلماء يصلحون للدعوة ، ويدخلون اليها من باب المعقول (١) » .

ومن فطانة السيد الأفغانى ان المهدى لما انتصر على غوردون وسرت عاطفة العزة الاسلامية فى قلوب الهنـــد دفع الانجليز بعض أفرادهم الى الدخول فى الدين الاســـلامى ليبرهنوا للمسلمين هنـــاك على أنهم غير متعصبين ، بل أنهم ممن يرجى اسلامهم جميعا ، وذلك حتى يتجنبوا امتداد فكرة الثورة الى الهند فى ذلك الوقت ، ولذا يصف السيد جمال الدين الانجليز :

بأن « لهم فى كل مصلحة مفسدة ، وفى كل حسنة سيئات ، وفى كل اخلاص دغل ، وفى كل صفاء دخل ، فهم الخادعون الخائنون . بل هم الكاذبون المنافقون .

هذه صفاتهم لم يبق فيها ريبة عند مسلم ... ولســـنا فى حاجة لتحذير المسلمين منهم » (٢) .

---

(١) خاطرات جمال الدين ص ٦٧ .

(٢) جمال الدين لمحمود قاسم ص (٩٦) .

٦ ـ الحق أن الأمم الشرقية بنهضتها السياسية والفكرية مرهونة لاحسان الكفاح الذى أداه الزعيم الكبير والفيلسوف النابغ السيد جمال الدين الأفغاني • كما قال الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي في فضل جمال الدين ، ومدى الرسالة التى أداها :

« ان الأمم الشرقية جمعاء مدينة بنهضتها السياسية ، والفكرية ، الى الزعيم الكبير والفيلسوف الشهير السيد جمال الدين الأفغاني • ظل الشرق قرونا عديدة رازحا تحت نير الجمود الفكرى ، والتأخر العلمى ، والاستعباد السياسى ، وبقى فى سبات عميق الى أن قيض الله له الحكيم الأفغاني (جمال الدين) • فنفخ فيه روح اليقظة ، والحياة ، وأهاب بالنفوس أن تنهض وتتحرك ، وبالعقول أن تستيقظ ، وبالأمم والجماعات أن تتطلع الى الحرية ؛ فكانت رسالته الى الشرق مبعث النهضة الحديثة • واذا أردنا أن نتبين فى كلمة عامة فضل جمال الدين ومدى الرسالة التى أداها ، فلنذكر أنه كان فى حياته : مصلحا دينيا ، وفيلسوفا حكيما ، وزعيما سياسيا فجمع بين الزعامات الروحية والفكرية والسياسية ، واضطلع بها جميعا • فأدى من الناحية الدينية مهمة الاصلاح والتجديد التى أدى مثلها مارتن لوثر للمسيحية ، وأهاب بالامم الاسلامية أن تفهم الاسلام على حقيقته ، وترجع الى مبادئه الصحيحة ، وفطرته الأولى وتطهره من الأوهام والخرافات ، التى أفضت الى تأخر المسلمين • ومن الناحية الفكرية أدى المهمة التى قام بها فى أوروبا فلاسفة الفكر أمثال (جان جاك روسو) و (مونتسكيو) وغيرهما ، فعمل على انارة البصائر ، وتوجيه الأفكار الى البحث عن الحقائق ، وتحرير العقول من قيود الجمود والتقليد • ومن الوجهة السياسية : استنهض الهمم ، واستثار فى النفوس روح العزة والكرامة ، والتطلع الى الحرية ، وغرس بذور الحركات الوطنية فى مختلف البلاد الشرقية ، وقام بمثل العمل الذى اضطلع به زعماء النهضات السياسية فى الغرب « كواشنطون » و « جاريبلدى » و « مازينيو » و « كوشت » وغيرهم • فالذى يجمع بين هذه المهام الجليلة ، ويضطلع بها معا فى عهد اشتد فيه ظلام الجهالة ، والاستبداد ، وتفرقت الكلمة وعز النصير ، وتشعبت الأهواء ، يجب أن يتسامى فى قوة النفس ، والفكر والوجدان ، الى مراتب العبقرية • ويقيننا أن الامم الشرقية لم تقدر حتى الآن حكيم الشرق حق قدره ، ولا أدت له حقه من الوفاء والتكريم ، وسيظهر فضله على مر السنين » • (١)

(١) ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ج ٢ من كتاب «عصر اسماعيل» لعبد الرحمن الرافعي •

٧ ــ قال « جولد زيهر » : « ان جمـــال الدين » كان كمـــا يرى « براون » فيلسوفا ، كاتبا ، خطيبا ، صـــحفيا ، وكان له أثر بالغ فى النزعات الثورية التى حدثت فى عشرات السنين الأخيرة فى الحـكومات الاسلامية ، وكان يرمى الى تحرير الممالك الاسلامية من السيطرة الأوروبية وانقاذها من الاستغلال الاجنبى ، والى ترقية شئونها الداخلية بالادارات الحرة المنظمة ، كما يرمى الى جامعة تنتظم الحكومات الاسلامية ، لتتمكن بهذا الاتحاد من منع التدخل الاوروبى فى شئونها » (١) ٠

٨ ــ وقد قال صاحب الفضيلة والسعادة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا :

« لما جاء السيد جمال الدين الافغانى الى مصر فى أواخر القرن الماضى لم يكن فى أساليب تفكيره ومنازع اصلاحه بل ولا فى سمته وسلوكه فى الحياة ، ما يدنيه من قلوب أهـــل الأزهر ، ويؤلف بينهم وبينه ٠ كان السيد فيلسوفا ينظر ــ فى الدين وفى غير الدين ــ نظر الفلاسفة ، وكان سلوكه فى الحياة سلوك الحكماء ، وكان من الطبيعى أن يكره رجال الدين رجلا يريد أن يبعث الدراسات الفلسفية حية من قيودها ، التى دفنهـا الجمود فيها من أزمان ٠

تنكر الازهريون للســيد الافغانى ، وحاربوه فى من حاربه من أهل السلطان ، ورجال السياسة ، لكن الرجال لم يبال بأهل السلطان ولابرجال السياسة ولا بالازهريين ٠ والأزهر حتى فى أشد عصوره ظلمة وجمودا كان لا يخلو من عناصر قوية فتية ، تنبعث الى النهضة والى الحياة من تحت ركام الماضى ، وركام الحاضر جميعا ٠

ولقد كان السيد جمال الدين رجلا نفاذ البصيرة ، فاهتدى بوحى بصيرته الى بعض تلك العناصر الفتية القوية ، فى الأزهر ، واهتدت اليه تلك العناصر بنور بصيرتها أيضا ٠ كان السيد جمال الدين يحب الشباب ويسحرهم ، وكان الشـــباب يحبون الســـيد جمال الدين حبـــا يكاد يطبعهم » ٠

٩ ــ قد كتب فى حق السيد جمال الدين الأفغانى ما يلى :

كاتب وخطيب ، ومصلح دينى واجتماعى ، وسياسى ، له خطرات فلسفية ، ودعوة الى تحرير الأمم الاسلامية من الاســـتعمار ، والتدخل

(١) من كتاب زعماء الإصلاح فى العصر الحديث للاستاذ أحمد أمين ص ١٠٥ ــ ١٠٦

الاجنبى ، وذلك باتحادها ، واقامة حياتها السياسية ، والاجتماعية ، على نظم دستورية • أقام جمال الدين دعوته على دعائم مستمدة من فكرته عن الجامعة الاسلامية ، التى أخذ يدعو اليها فى مختلف البلاد الاسلامية ، وبين حقيقتها لدى كثير من الأمم الغربية • اتخذ من بيته بالقاهرة ملتقى لتلاميذه ومريديه ، فاستطاع بدروسه فى الدين والفلســفة والأخلاق والاجتماع والسياسة ، وبمقالاته في الصحف والمجلات أن يثير الشعور الوطنى ، ويحيى الشعور الدينى فى قلوب المسلمين ، ومن آثاره المكتوبة رسالته فى :

« الرد على الدهريين » وفيها نقض الفلســفة المادية ، وصــحيفة « العروة الوثقى » التى كان يصدرها مع تلميذه وصديقه الامام محمد عبده ومقالاته فى مجلة « ضياء الخافقين » التى اشترك فى تحريرها ، وكانت تصدر بالعربية والانجليزية ، وكتابه « تتمة البيــان » وهو مختصر فى تاريخ الأفغان • (١)

١٠ ــ قال أ • ج • براون فى جمال الدين فى الصفحة ٢ من كتابه « الثورة الفارسية » :

« انه كان رجلا ذا خلق قوى ، غزير العلم موفور النشاط ، لا يجد الوهن اليه سبيلا ، جريئا مقداما ، وكانت فصاحته لا تجارى ، خطيبا كان أم كاتبا ، وكانت لطلعته هيبة فى النفس ، وعظمة وجلال •

كان فيلسوفا ، وكاتبا ، وخطيبا ، وصحفيا ، لكنه كان فوق ذلك سياسيا » •

١١ ــ قال المفكر الجزائرى « على الهامى » فى حق السيد جمال الدين الأفغانى : « سوف يخلد اسمه فى جميع البلاد الاسلامية ، كما خلد اسم هوميروس فى مدن اليونان القديمة » •

يثبت من كل ذلك أن السيد جمال الدين كان فيلسوفا ، ونابغة الشرق ، وان له فكرا عبقريا • جاهد جهادا كبيرا وعظيما • ويظهر من ذلك أيضا أن من ينكر أن جمال الدين كان فيلسوفا أو يقول انه غير مخلص ليس له دراسة فيما يتعلق بأحواله ، وأفكاره ، وجهاده أو عسى أن يكون متعصبا ، أو يخدم الاستعمار بعد أن مات السيد جمال الدين ليشكك الناس فى حياة السيد ، لحساب المستعمرين والمستغلين •

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة « دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » •

« ما هو أهم ما يريده السيد فى الحياة ؟ »

الجواب على هذا السؤال سهل لمن بحث أحوال السـيد جمال الدين الافغانى الحسينى ، وتعمق فى آرائه وعمله ، إننى عندما قرأت عن حياة السيد ما يزيد على الخمسين كتابا بجانب العروة الوثقى ، ثم أمعنت النظر فيها ، فوجدت أن السيد عاشق للخير والسعادة لكافة الناس ، ويطلب الحرية ، والصلاح ، والفلاح لجميع الشعوب ، وهو أينما كان وأينما نزل ينظر بالدقة لأحوال الناس ، ومفاسد الحياة الاجتماعية ، وأمراضـها ، ويدرس العلاج ، ويداوى الامراض الاجتماعية بأحسن الطرق .

ليس السيد مخالفا لمصالح الشعب الافغـانى والايرانى والتركى والهندى والعربى واليونانى والافريقى والآسـيوى والروسى والألمـانى والشرقى والغربى ، حتى ولا الانجليزى ، بل هو يخدمهم جميعا . لـكن يخالف الأمراء المستبدين ، والعناصر الرجعية . وذلك حفظا لمصـالح الشعوب ، هو يطلب خير الشرق لأن فى أيامه كان الشرق هدفا للاستعمار والأمراء الغربيين ، ودسائسهم ، ولذلك حاول السيد أن يعلم أهل الشرق والغرب أن الاستعمار والدسائس يهددان الصلح والسلم ، وأنهما منافيان لكرامة الانسانية ، ومخالفان لتأمين الحقوق الانسانية .

كان السيد يلقن دين الاسلام خاليا من الخرافات ، لأنه متيقن بأن هذا الدين المبين يكفل الخير لعامة البشر ، وأن قوانين الاسلام ودساتيره لو أخذها الانسان وعمل بها لنجح العالم ، والدول بأسرها ، ولوصل الناس الى المعارج العالية ، والى كمال مدارج الانسانية .

بناء على هذا حق لى أن أقول ان السيد جمال الدين .

وقف حياته لمصالح الناس فى ضوء تعاليم الاسـلام الحقة ، وكان الهدف العالى من الحياة عنده الخدمة للحق ، والخير .

لهذا أقرر أن السيد جمال الدين جدير بكل اجلال وتخليد وأرى أن من الحق على الممالك والشعوب التى خدمها وخصـوصا الافغـانيين ، والمصريين ، أن يحتفلوا بذكراه يوما فى كل سنة ، تكريما لاسمه ، وتقديرا لأفكاره وخدماته .

رحمه الله رحمة واسعة ووفق الله من نهج منهجه القويم الى يوم الدين .

الملخص

« مجمل حياة

السيد « جمال الدين » الافغاني »

ولد السيد في « أسعد آباد » وهي قرية في محافظة « كنر » بأفغانستان • سنة (١٢٥٤ هـ ـ ١٨٣٩ م) •

وتوفى في الاستانة « استانبول » من تركيا ، في صبيحة يوم الثلاثاء (٩ مارس سنة ١٨٩٧ م ـ ٥ شوال سنة ١٣١٤ هـ) فعلى هذا عاش السيد ستين سنة ، وبعدما توفى دفنت جثته أولا في مقبرة المشايخ في الآستانة ، ثم نقل رفاته الى أفغانستان ، في سنة (١٩٤٤ م) ودفن في منطقة « على آباد » من « كابل » عاصمة أفغانستان •

« اجمال تاريخ حياة

السيد في البلاد والممالك »

١ ـ عاش السيد في افغانستان من طفولته منذ ولد سنة (١٢٥٤ هـ ـ ١٨٣٩ م) الى سن رشده حياة مضطربة بسبب الظلم والاستبداد والاستعمار •

٢ ـ غادر السيد افغانستان الى الهند مرة أولى لتكميل تحصيل ما أراد من العلوم ، فمكث فيها سنة وعدة أشهر ، ثم عاد الى بلاده أفغانستان في سنة (١٢٧٣ هـ ـ ١٨٥٧ م) •

٣ ـ اتجه السيد الى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وفي هذه الرحلة التي طالت نحو عام زار أكثر بلاد الاسلام في الشرق ، ثم عاد الى «كابل» في سنة ١٢٧٤ هـ •

٤ ـ اضطر السيد لأجل ما حدث له في أفغانستان سنة ١٢٨٥ هـ الى الخروج منها ، فاتجه الى الهند للمرة الثانية ، لكنه لم يقم في الهند أكثر من شهر •

٥ ـ اضطر السيد الى الخروج من الهند فاستقل سفينة سارت به الى مدينة « السويس » فجاءها في أواخر سنة ١٢٨٦هـ ، ثم اتجه الى القاهرة مرة أولى فاقام فيها نحوا من أربعين يوما ، لكن لما أحس في القاهرة العداوة من بعض رجال الدين ترك لهم القطر المصري•

٦ ـ اتجه السيد سنة ١٢٨٧ هـ ـ ١٨٧٠ م الى تركيا فأقام بهـا ثم اضطر الى الخروج منها •

٧ ـ بعد ما أخرج من تركيا اتجه نحو الحجاز فأقام بها فترة قصيرة ، ثم قصد الى مصر مرة ثانية فى (٢٢ مارس سـنة ١٨٧١ م وأوائل سنة ١٢٨٨هـ) وأقام فيها ثمانية أعوام •

٨ ـ اضطر السيد فى الخروج من مصر ، فغادر ميناء « السويس » فى ٢٢ أغسطس سنة ١٨٧٩ م الى الهند •

٩ ـ أقام السيد فى الهند هذه المرة ثلاث سنوات وحددت اقامتـه فى الهند من السلطات الانجليزية •

١٠ ـ غادر السيد الهند سنة ١٨٨٢ م واتجه الى انجلترا لـكن لم تطل اقامته بها مدة طويلة •

١١ ـ غادر السيد لندن فى نفس سنة ١٨٨٢ م ، واتجه الى باريس •

١٢ ـ غادر السيد باريس فى جمادى الاولى سـنة ١٣٠٣ هـ واتجه الى ايران مرة أولى •

١٣ ـ اضطر السيد الى أن يغـادر « ايران » فاتجه سنة ١٨٨٦ م الى « روسيا » وأقام بها أكثر من أربع سنوات •

١٤ ـ أخرج السيد من « روسيا » واتجه سنة ١٨٨٩ م الى « ميونخ » من بلاد ألمانيا •

١٥ ـ هناك فى ألمانيا لقيه « ناصر الدين » شاه ايران ، فاعتذر له وألح عليه فى أن يعود الى « ايران » فعاد اليهـا سنة ١٨٨٩ م للمرة الثانية •

١٦ ـ أقام السيد فى « ايران » مرة ثانية ، لكن بعد مدة تغير الوضع ، وطرد من ايران فاتجه سنة ١٨٩١ م نحو البصرة ، وأقام بها مدة قصيرة •

١٧ ـ غادر السيد البصرة سنة ١٨٩١ م واتجه الى لندن مرة ثانية •

١٨ ـ غادر السيد لندن سنة ١٨٩٢م وعاد الى تركيا مرة ثانية ، وأقام فيها الى أن توفى سنة ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٧ م •

(انا لله وانا اليه راجعون) •

« المنزلة العلمية للسيد »

بدأ السيد دراسته بتخصيل العلوم العربية من نحو ، وصرف ، ومعان ، وبيان ، وبديع ، وتاريخ ، ثم درس علوم الشريعة من تفسير ، وحديث ، وفقه ، وأصول ، وكلام ، وتصوف ، وأيضا درس العلوم العقلية المعروفة فى عصره من المنطق ، والفلسفة النظرية ، والعملية ، ويقال انه درس العلوم الرياضية ، والفلك ، وبعض النظريات فى الطب والتشريح ، وفى أثناء اقامته فى الهند درس العلوم الرياضية وفقا للمنهج الأوروبى الحديث •

كان السيد يتقن اللغات الآتية :

١ ـ الافغانية (بشتو) .

٢ ـ الفارسية

٣ ـ العربية

٤ ـ التركية

٥ ـ الاوردية

٦ ـ الفرنسية

٧ ـ الانجليزية

٨ ـ الروسية •

وقيل انه كان يعرف أيضا اللغة الالمانية ويتكلم مع أهلها بها ولكن لم أجد الدليل القاطع على هذا •

« مؤلفات السيد »

١ ـ رسالة « الرد على الدهريين » ٠

٢ ـ مجلة العروة الوثقى فى ثمانية عشر جزءا ٠

٣ ـ « تتمة البيان » وهو مختصر فى تاريخ الافغان ٠

٤ ـ مقالاته فى مجلة « ضياء الخافقين » ٠

٥ ـ مقالاته فى جريدة « مصر » وجريدة « التجارة » باسمه وأحيانا باسمه المستعار الذى هو « مظهر بن وضاح » ٠

٦ ـ مقالته فى جريدة « الديبا » الفرنسية الشهيرة ٠

٧ ـ مخطوطاته التى أرسلها الى اصدقائه أو علق بها على الكتب والمسائل العلمية ، وتوجد الآن صور بعضها ٠

« مجمل أهم خدمات السيد
للشرق والاسلام بل للانسانية جمعاء »

١ ـ حاول فى أفغانستان كثيرا من الاصلاحات الاجتماعية ، حتى وصل فى الوظائف الحكومية فى عصر الأمير « محمد أعظم خان » منزلة وزيره الأول وناصحه الأمين ٠

لكن الظروف السياسية ضاقت عليه ، كما أنه اضطر الى أن يغادر أفغانستان ، وحينما أراد السيد أن يغادرها فى عام ١٨٦٩م عرض على الأمير (شير على خان) عدة مشروعات اصلاحية ، من بينها اصدار صحيفة فى « كابل » فأشار الأمير الى المختصين بتلبية هذه الرغبة ، وكان أن انشئت مجلة أسبوعية أطلق عليها اسم « شمس النهار » (١) ٠

---

(١) ص (١٣) من مجلة ثقافة افغانستان المطبوعة في سنة ١٩٦٥ م ٠

٢ ــ وجه السيد جمال الدين الأحرار فى أفغانستان والهند ومصر ، وسائر البلاد التى أقام بها أو زارها الى القيام بمقاومة الظلم والاستبداد والاستعمار والاستغلال ٠

٣ ــ ألف جمعية أم القرى فى الحجاز عقب أدائه فريضة الحج واتصاله برجال الاسلام ليحقق بها فكرة الجامعة الاسلامية (١) ٠

٤ ــ أنشأ فى مصر جريدتين ، جريدة « مصر » وجريدة « التجارة » ٠

٥ ــ قام السيد فى مصر طوال ثمانية أعوام بالاصلاحات الاجتماعية بوسيلة تلقيناته وندواته وخطبه الرقيقة ٠

كما أنه التحق أولا بنظام الماسونية ، ثم أنشأ محفلا وطنيا وبذر بذور الثورة لينتزع للشعب حقوقه الانسانية من الظالمين ٠

٦ ــ كتب السيد فى الهند رسالته « الرد على الدهريين » وأيقظ فكر الهنود لأخذ الاستقلال ٠

٧ ــ أسس السيد فى باريس « جمعية العروة الوثقى » ، كما أنه نشر من هناك الى كل البلاد الاسلامية والشرقية مجلة «العروة الوثقى»٠

٨ ــ كافح فى ايران لمصالح الشعب الايرانى بمقاومة الظلم والاستبداد٠

٩ ــ حاول فى روسيا مناصرة الجاليات الاسلامية ، لنيل حقوقهم الاجتماعية ، والاقتصادية والدينية من الحكومة الروسية ، كما أنه استطاع هناك طبع القرآن الكريم وبناء المساجد والمحافل ٠

١٠ ــ حاول أن يفهم ساسة الغرب وعلماءه وفلاسفته وشعوبه كيف يخدمون الحياة السلمية والتعاون والتساند الانسانى ٠

١١ ــ حاول فى تركيا أن يوحد دول المسلمين ويؤسس الجامعة الاسلامية٠

وكانت له ندوات ، ومجالس علمية عامة ، وزيارات ، ومجالس

---

(١) من رسالة : (الثائر الاسلامى جمال الدين الافغانى) التى كتبت عن الندوة التى اجتمعت في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين في مساء الاثنين ٢٧ ربيع الاول (١٣٧٧ هـ ــ ٢١ اكتوبر ١٩٥٧ م) ٠

خاصة ، وكان يخطب فى المجافل ، وعلى المنابر خطبا ملتهبة ، ويقرأ ويدرس على تلاميذه علوما مختلفة •

وكان عالما بالمشكلات الفلسفية القديمة والحديثة ، كما أن له آراء وأفكارا خاصة فى المسائل الكلامية ، والفلسفية العويصة ، الا أن نشاطه السياسى والاجتماعى قد أثر فيه تأثيرا عميقا حتى مات فى هذا السبيل شهيدا •

المراجع

١ ـ العروة الوثقى ٠

٢ ـ تاريخ الامام محمد عبده تأليف الأستاذ محمد رشيد رضا

٣ ـ رسالة الرد على الدهريين ٠

٤ ـ صيحة جمال الدين الأفغانى تأليف محمود أبو رية ٠

٥ ـ جمال الدين الأفغانى حياته وفلسفته : تأليف الدكتورمحمود قاسم ٠

٦ ـ محمد عبده : تأليف العقاد ٠

٧ ـ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى : تأليف الدكتور محمد البهى ٠

٨ ـ أقلام ثائرة سلسلة المكتبة الثقافية للأستاذ حسن الشيخة ٠

٩ ـ خاطرات جمال الدين : للمخزومى باشا ٠

١٠ ـ جمال الدين : للأستاذ عبد القادر المغربى ٠

١١ ـ كتاب « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر » تأليف مستر « بلنت » ٠

١٢ ـ كتاب كفتار خوش يار قلى ٠ طبع هذا الكتاب فى المطبعة العلوية بالنجف الاشراف سنة ١٣٤٠ هـ ٠

١٣ ـ مجموعة الثلاثين من جريدة « التام » فى « باريس » ٠

١٤ ـ من جريدة « مصر » المطبوعة فى عصر اقامة السيد فى مصر ٠

١٥ ـ من جريدة « التجارة » المطبوعة فى عصر اقامة السيد فى مصر ٠

١٦ ـ من الكتاب الذى سمى بـ «جمال الدين» الذى ترجمه من الفارسية الى العربية الأستاذان صادق نشأت وعبد النعيم حسنين ٠

١٧ ـ كتاب مذكرات الامام محمد عبده طبع دار الهلال .

١٨ ـ كتاب : الامير شكيب ارسلان . طبعة دار المعارف .

١٩ ـ كتاب عبد الله النديم خطيب الوطنية بقلم الدكتور « على الحديدى »

٢٠ ـ كتاب « عصر اسماعيل » ج ٢ ـ لعبد الرحمن الرافعى .

٢١ ـ كتاب زعماء الاصلاح فى العصر الحديث للاستاذ « أحمد أمين » .

٢٢ ـ كتاب « الثورة الفارسية » لـ « براون » .

٢٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة « دار القلم ومؤسسة فرانكلين » للطباعة والنشر .

٢٤ ـ مجلة ثقافة أفغانستان المطبوعة فى سنة ١٩٦٥ .

٢٥ ـ رسالة « الثائر الاسلامى جمال الدين الأفغانى » التى كتبت عن الندوة التى اجتمعت فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين فى مساء الاثنين (٢٧ ربيع الاول ١٣٧٧ هـ ٢١ أكتوبر ١٩٥٧ م) .

٢٦ ـ من جريدة « الديبا » الفرنسية الشهيرة . التى كتبت عن مباحثات السيد جمال الدين و « رينان » .

٢٧ ـ كتاب رشيد رضا للدكتور ابراهيم العدوى . فى سلسلة أعلام العرب .

٢٨ ـ كتاب محمد عبده لأمين عثمان فى سلسلة أعلام الاسلام .

٢٩ ـ كتاب : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى . الناشر دار العرب .

٣٠ ـ تاريخ الأفغان فى أحوال الملوك والأمراء الافغانيين .

٣١ ـ جمال الدين الأفغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق لـ «محمد سلام مدكور» .

٣٢ ـ من تراجم « ضياء الخافقين » .

٣٣ ـ من جريدة « المقطم » من عددها الصادر فى مارس سنة ١٨٩٧م .

٣٤ ـ كتاب تتمة البيان فى تاريخ الأفغان . تاليف السيد جمال الدين الأفغانى .

٣٥ ـ مجموعة لمخطوطات السيد جمال الدين طبع دانشكاه « طهران » سنة ١٣٤٢ هـ ٠

٣٦ ـ كتاب قاسم أمين تأليف الدكتور ماهر حسن فهمى فى سلسلة أعلام العرب ٠

٣٧ ـ كتاب أحمد لطفى تأليف الدكتور حسين فوزى النجار فى سلسلة أعلام العرب ٠

٣٨ ـ أحمد زكى بقلم أنور الجندى فى سلسلة أعلام العرب ٠

٣٩ ـ مصر للمصريين ٠ تأليف سليم نقاش ٠

٤٠ ـ مشاهير الشرق ٠ جرجى زيدان ٠

٤١ ـ حاضر العالم الاسلامى ـ تعليق شكيب أرسلان ٠

٤٢ ـ أم القرى ـ تأليف الكواكبى ٠

٤٣ ـ سعد زغلول ٠ عباس العقاد ٠

٤٤ ـ تاريخ الماسونية العام ٠ تأليف جرجى زيدان ٠

٤٥ ـ مجلة المنار ـ لرشيد رضا ٠

٤٦ ـ مقدمة العروة الوثقى للأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا ٠

٤٧ ـ تطور الامم ٠ تأليف فتحى زغلول ٠

٤٨ ـ مصر الحديثة (كرومر فى مصر) بقلم كرومر ٠

٤٩ ـ تحرير المرأة ـ تأليف قاسم أمين ٠

٥٠ ـ دائرة المعارف الاسلامية تأليف « غولد سيهير » ٠

٥١ ـ تاريخ الحركة القومية عبد الرحمن الرافعي ٠

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقــاهــرة

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
بالقاهرة
١٩٦٧ م - ١٣٨٦ هـ



العدد ١٥٠
الثمن ٢٢